وزارة التـــعـلـيـــم العـــــــالي والبـــــحث العـــــلـــمـــي

جـــــــــــــــــامعة سعيدة – د. مولاي الطاهر –

كليـــــة الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

القراءات القرآنية وأثرها في توجيه القاعدة النحوية
-مقاربة نظرية تطبيقية لنماذج من آيات القرآن الكريم-

بحث مقدم ضمن متطلبات التخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص: لسانيات عامة

إعداد :

حاج سايـــح نورالدين

إشراف :

الأستاذ: عامر بن أمحمد

لجنة المناقشة

اسم الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
حمداد بن عبدالله	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	رئيسا
عامر بن أمحمد	أستاذ محاضر (ب)	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
زحاف الجيلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	مناقشا وممتحنا

السنة الجامعية:1445 – 1446هـ / 2025 – 2026م

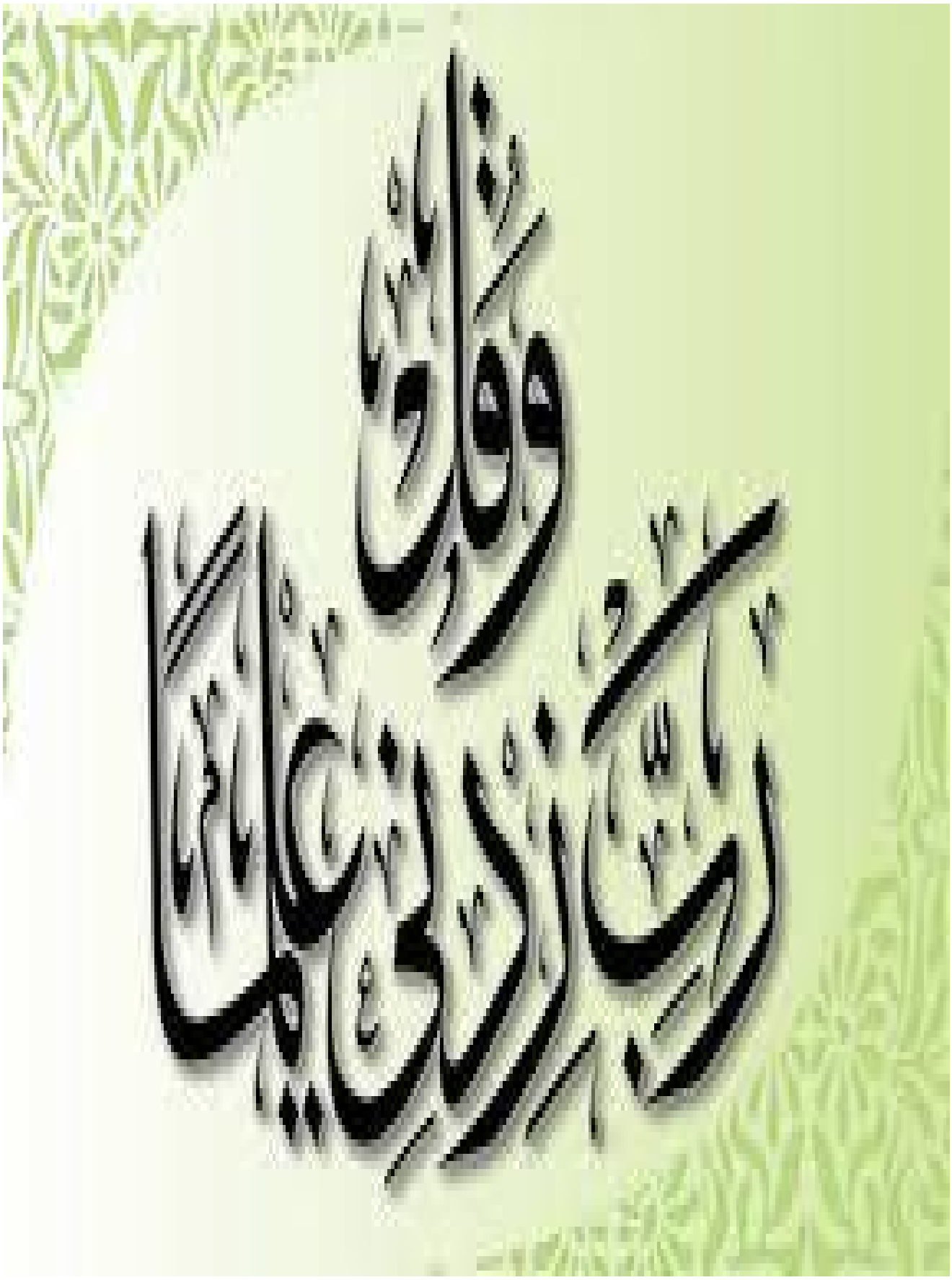

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد كله والشكر كله .....اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما يليق بكمالك وعدّ كماله....

وعرفانا منا بجميل من ساهموا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة يكيب لنا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الثناء إلى أستاذنا المشرف " عامر بن أمحمد "الذي جاد علينا من فضل علمه وتوجيهاته القيمة طيلة المشوار فجزاه الله عنا كل خير وخير الجزاء فله كل التقدير والاحترام ونسأل الله له القبول والتوفيق في دينه ودنياه.....

ونتقدم إلى كل من ساهم في إتمام المذكرة ولو بكلمة طيبة, أسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام

إهداء

يطيب لنا أن نتقدم بهذا العمل المتواضع بعد توفيق الله وامتنانه علينا بالخير والبركات إلى كل الأمة الإسلامية راجين من المولى عز وجل الهداية والتوفيق للجميع .....

أهدي هذا البحث إلى الوالدين الكريمين اللذين كانا سببا في وجودي وأحسنا تربيتي كما يجب فأرجو من الله أن يجازيهم عني خير الجزاء.....وإلى عائلة " حاج سايح " من كبيرهم إلى صغيرهم ....كما لا ننسى كل مشايخي وأساتذتي طيلة مشواري الدراسي من الابتدائية حتى الجامعة .....

أتقدم بالشكر الخاص إلى الأستاذ المشرف " عامر بن أمحمد" الذي كان نعم المرشد والموجه طيلة المشوار ..فأهدي له هذا الجهد لعلنا نلقى عنده القبول والرضا وأن نوفيه حقه ونسأل المولى عز وجل له ولعائلته أن يمن الله عليهم بالصحة والعافية بجاه كل ما هو مقبول عندك يا ربي

ونهدي كل عبارات التقدير والاحترام الى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سعيدة

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن للقلوب ضياءً، وللألسنة فصاحةً وبهاءً، والصلاة والسلام على من أُنزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا النصَّ رسماً، ونقلوا الحرفَ حُكماً، فكانوا للنورِ حراساً، وللحقِّ مقياساً. أما بعد:

نّ القراءاتِ القرآنية هي دُرّةُ العلوم العربية، ومستودعُ الأسرارِ اللسانية؛ بها تجلّت عبقريةُ اللغة، وظهرت مرونةُ القاعدة، فليست القراءاتُ مجردَ تنوعٍ في الأداء، بل هي مظهرٌ من مظاهرِ الإعجاز، ومنبعٌ تتدفقُ منه وجوهُ الإعرابِ والاستنباطِ بلا تقييد أو تضييق.

إن الناظر في تاريخ لغتنا الشريفة يدرك أن القراءات القرآنية لم تكن يوماً بمعزل عن الدرس النحوي، بل كانت هي المادة الخام التي صُيغت منها القواعد، والمختبر الأول الذي اختبر فيه النحاة الأوائل قوة القياس وصحة السماع. فالقراءة هي "سنة متبعة" تضبط اللسان وتصون الجنان، والنحو هو "ميزان البيان" الذي يكشف عن علل الاختلاف وأسرار الائتلاف. وحين تتعدد القراءات في الآية الواحدة، فإننا لا نكون أمام تضارب في القواعد، بل أمام "تعددية لسانية" تفتح للنحو آفاقاً رحبة، وللمعنى وجوهاً شتى، حيث يعضد النحو القراءة بالتوجيه، وتُغني القراءة النحو بالشواهد والتمكين. ومن هذا التمازج الفريد بين "النص القرائي" و"القالب النحوي"، تنبثق الضرورة العلمية لاستكشاف أثر هذا التوجيه في رسم معالم القاعدة اللغوية.

ولعل من أسباب اختياري لهذا الموضوع أهميته في الدراسات العربية وقيمته العلمية في التوجيه النحوي وبناء الأحكام الشرعية ناهيك عن ميولاتي واهتماماتي بمثل هذه المواضيع ورغبتي في البحث فيها, والإقدام على دراسة هذا الموضوع جاء مدفوعاً برغبةٍ صادقة في رد الاعتبار للقراءة القرآنية كأصلٍ أصيل في التقعيد، وبيان تهافت المناهج التي حاولت "تخطئة" بعض القراءات بناءً على قواعد متأخرة. وعلى الرغم من كثرة ما كُتب في هذا الميدان، إلا أنني أحببت خوض غمار هذا الموضوع لما فيه من جمالياتٍ لا تنتهي، وثراءٍ لغوي غير محصور ولا منقضي؛ رغبةً في تقديم إضافةٍ تمزج بين التنظير اللساني والتطبيق التحليلي الدقيق.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد تناولته دراسات سابقة استفدنا منها كثيرا خاصة الجانب التنظيري مثل : كتاب " **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية** " للدكتور عبد العالي سالم مكرم _أستاذ الدراسات النحوية بجامعة الكويت.وأيضا بحث أكاديمي بعنوان " **أثر القراءات القرآنية في اختلاف الآراء النحوية–سورة النساء أنموذجا**" مذكرة لنيل ششهادة ماستر بجامعة جيلالي اليابس –سيدي بلعباس. غير أنها من منظور بعض الدراسات النقدية التي تتبعت الكتاب بالتحليل وبالمواجهة المنهجية كـ: " موقف النحاة من الاحتجاج بالقراءات القرآنية " لمؤلفه: الدكتور : خليل بنيان حسون بحيث أبان أن الدكتور "سالم مكرم" قد أغفل الجانب الذي سنحاول البحث فيه قدر المستطاع حيث لم يراع جانب الالتماس العذري للنحاة المتقدمين فهاجمهم بحدة لتضعيفهم بعض القراءات وأغفل أيضا الجانب البيئي للنحاة وسياقهم التاريخي فالنحاة المتقدمون (القرن 2و 3 هجري) لم تكن فكرة تواتر القراءات بالصورة الإجماعية المستقرة قد استقرت عندهم مثلما استقرت عند ابن مجاهد والمتأخرين.

وانطلاقاً من هذا التقديم ، تبرز الإشكالية الجوهرية التي يسعى هذا البحث لمعالجتها، والمتمثلة في السؤال الآتي: **إلى أي مدى ساهم اختلاف القراءات القرآنية في توجيه القاعدة النحوية، وكيف انعكس هذا التوجيه على مستويات الدلالة والاستنباط الفقهي؟**

وقد انبثق عن هذا السؤال المحوري تساؤلات فرعية تمثلت في الآتي :

- كيف ساهم الاختلاف القرائي في إثراء الدرس النحوي؟
- ما أثر التحولات البنيوية (صرفاً وتركيباً) في تغيير المقاصد الدلالية؟
- كيف وظّف النحاة التعدد القرائي في إثراء الدرس النحوي؟
- كيف استثمر العلماء هذا التوجيه في بناء الأحكام الشرعية؟

ونظرا لطبيعة الموضوع فقد اعتمدت المنهج الوصفي إضافة إلى الإجراء التحليلي وذلك بهدف توصيف الظواهر وتحليل مستوياتها، مع الاستعانة بـ **المنهج المقارن** للمفاضلة بين توجيهات النحاة

ومذاهبهم ناهيك عن المنهج التأويلي لرصد الأدلة في مختلف البنيات الأسلوبية المتجلية في الشواهد القرآنية والنحوية.

لقد اقتضت طبيعة الدراسة أن نعتمد على خطة تمثلت في تقسيم العرض إلى مدخل وفصلين وخاتمة، وفق التفصيل الآتي:

الفصل الأول: الجانب النظري (القراءات القرآنية وعلاقتها بالقاعدة النحوية): وقسمناه إلى ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول**: علم القراءات القرآنية.
- **المبحث الثاني**: القراءات القرآنية والتقعيد النحوي.
- **المبحث الثالث**: اختلاف القراءات والتوجيه النحوي.

أمّا الفصل الثاني فتمثّل الجانب التطبيقي الموسوم بـ (أثر القراءات في إعادة توجيه البنية النحوية وأبعادها الدلالية والفقهية): وفيه ثلاثة مباحث تطبيقية مقسمة كالآتي :

مدخل منهجي.

- **المبحث الأول**:أثر القراءات في إعادة تشكيل البنية النحوية في النص القرآني .
- **المبحث الثاني**: أثر القراءات في الاختلاف الدلالي للبنية النحوية المتباينة.
- **المبحث الثالث**: أثر القراءات في التباين البنيوي والدلالي ونتيجته في فهم الأحكام الشرعية .

وكل مبحث يتناول مجموعة من المطالب التي تعزز المفاهيم الفرعية لعناوين المباحث.

ومن المعلوم أنهلا يخلو أي عمل أكاديمي رصين من عقبات واجهت الباحث في طريقه، ولعل أهم الصعوبات التي اعترضت سبيلنا في هذا البحث:

- **تشعب المادة العلمية :**

حيث تفرقت مادة "توجيه القراءات" بين كتب التفسير، والنحو، وكتب الاحتجاج، مما استلزم جهداً كبيراً في التتبع والجمع والترتيب.

- **دقة الربط بين الفقه واللسانيات :**

صعوبة الموازنة بين التحليل النحوي الأكاديمي وبين الاستنباط الفقهي لضمان عدم الخروج عن مقاصد الشارع.

- **كثرة وجوه الاختلاف**

محاولة الإحاطة بمذاهب النحاة (البصرية والكوفية) في توجيه القراءة الواحدة، والترجيح بينها بما يخدم السياق الدلالي.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر الرصينة والمراجع المتنوعة، نذكر الأهم منها:

- **كتب اللغة والمعاجم** :وعلى رأسها "لسان العرب" لابن منظور.
- **كتب النحو والاحتجاج** :مثل "كتاب سيبويه"، "المحتسب" لابن جني، و"معاني القرآن" للفراء.
- **كتب التفسير والقراءات** :التي زاوجت بين أداء الحرف وتوجيه المعنى. ككتاب روح المعاني : للألوسي والكشاف للزمخشري . وجامع الأحكام للقرطبي.

وفي ختام هذه المقدمة، لا يسعني إلا أن أرفع أكفَّ الضراعة للمولى عز وجل، حامداً له على التوفيق والرشاد، كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف **" بن عامر أمحمد "** الذي رافقني بتوجيهاته ونصائحه ولم يبخل علينا بما جاد الله عليه من فيض علمه وكذلك إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد وبالموازاة لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل أيضا لأساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها ,فما كان في هذا الجهد من صوابٍ وسداد فهو من فضل الله وفتحِه، وما كان فيه من زللٍ أو تقصير فهو مني ومن الشيطان، وحسبي أنني بذلت فيه قُصارى الجهد والوقت. وما أنا في هذا الميدان إلا طالبُ علمٍ يبتغي الفائدة، وباحثٌ يرجو بضاعته المزجاة القبول.والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

سعيدة في 2026/05/20

الطالب : حاج سايح نورالدين

الفصل الأول : القراءات القرآنية وعلاقتها بالقاعدة النحوية

- المبحث الأول: علم القراءات القرآنية
- المبحث الثاني: القراءات القرآنية والتقعيد النحوي
- المبحث الثالث: اختلاف القراءات والتوجيه النحوي

المبحث الأول : – مفهوم القراءات القرآنية –

المطلب الأول : مفهوم القراءة لغة واصطلاحا

– المفهوم اللغوي

الأصل اللغوي للفعل "قرأ" قال ابن منظور في مادة (قَرَأَ): القِرَاءَةُ: ضَمُّ الحروف والكلمات بَعْضِها إلى بعض في الترتيل.(لسان العرب، مادة " قرأ ") .القراءة بمعنى الجمع والضمّ قال أيضاً:"وقَرَأَ الشيءَ قَرْءًا: جَمَعَه وهذا يعني أن أصل القراءة في العربية هو الجمع والضمّ ، أي أن القارئ يجمع الحروف ويضمّ بعضها إلى بعض حتى تتكوّن الكلمات والجُمل. القراءة بمعنى التلاوة ويضيف:"**وقَرَأَ القرآنَ: تَلَاه.**»وهنا ينتقل المعنى من الأصل (الجمع) إلى الاستعمال الأشهر: تلاوة الكلام بصوتٍ وفق ترتيب الحروف[1]. وبالتالي فإن الصياغة المحكَمة للتعريف اللغوي بناءً على نصوص ابن منظور هي :

" ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض نطقاً، ثم أُطلقت على تلاوة الكلام المرتّب، ومنه قراءة القرآن".

وفي هذا التعريف يبدو لنا أنه يركز على البنية الصوتية للكلمات والحروف بشكل عام وجوهري في آن واحد.

– المفهوم الاصطلاحي :

تعرّف القراءة في اصطلاح أهل التجويد بأنها : " **إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح مع إعطائه حقه ومستحقه من الصفات, تلاوة وتحقيقا على الوجه المنقول عن الأئمة.**"[2]

---

[1] ابن منظور" لسان العرب.مادة قرأ" .الناشر : دار المعارف : بيروت، ط1، 1997، مجلد 1، ص3563.

[2] ابن الجزري, التمهيد في علم التجويد.تح: غانم قدوري.مؤسسة الرسالة .د ت.ص41.

مفهوم القراءات القرآنية

يُعدّ ضبط مفهوم القراءات القرآنية خطوة أساسية في بناء هذا العلم، إذ تكشف التعريفات المتعددة التي صاغها العلماء عن تطوّر النظر العلمي في هذا المجال، وتبيّن حدود هذا المصطلح من حيث طبيعة الاختلاف الذي يتعلّق بأداء الألفاظ القرآنية ونقلها. وفيما يأتي عرضٌ منهجي لأهم

هذه التعريفات كما وردت في المصادر الأصيلة، مع إعادة صياغتها بلغة دقيقة، ثم تحليلها في تركيب واحد جامع.

- **تعريف ابن الجزري:**

يُبرز ابن الجزري الجانب العلمي والوصفي للقراءات، فيعرّفها بأنها : العلم الذي يُبحث فيه عن كيفية أداء كلمات القرآن الكريم، وما يطرأ عليها من وجوه الاختلاف، مما يُنسب إلى أئمة القراءة بالنقل والرواية.[1]

- **تعريف السيوطي:**

ويركّز السيوطي على طبيعة الاختلاف، فيقول: **" هي اختلاف ألفاظ الوحي القرآني في الحروف وكيفيات النطق بها، مما يدخل فيه التخفيف والتشديد وسائر الأحوال الصوتية الثابتة بالرواية "** [2].

- **تعريف الزركشي:**

ويقدّم الزركشي تعريفاً موجزاً يحدّد مجال الاختلاف، قائلاً: **" هي تغاير ألفاظ القرآن في الحروف أو في الكيفية الصوتية لأدائها، على وجهٍ ثابت بالنقل "**. [3]

---

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994 , ج1. ص32

[2] السيوطي, الإتقان في علوم القرآن..تح: محمد أبو الفضل ابراهيم/بيروت :دار الفكر.ط1، سنة 1996.ج1 ص 158.

[3] الزركشي .." البرهان في علوم القرآن للزركشي " تح/ أبي الفضل الدمياطي. د ت .ج1. ص318.

- **تعريف مكي بن أبي طالب :**

ويُعلي مكي بن أبي طالب من شأن الصفات الصوتية في تعريفه بقوله :" **هي اختلاف يُصيب ألفاظ القرآن من جهة الأصوات والحروف والهيئات، مما ثبت نقله تواتراً عن القرّاء** "[1].

- **تعريف ابن الحاجب :**

ويُعرّفها من منظور لغوي صرف إذ يقول :" **هي طرائق متباينة في النطق بألفاظ القرآن، تختلف فيها الروايات من جهة الحروف والهيئات الصوتية** "[2]

ومما يبدو لنا من خلال هذه التعريفات هو أنها تتقاطع إلى حد كبير في تحديد المفهوم , وبالجملة من هذه التعريفات يمكننا القول أن القراءات القرآنية هي : أوجه الأداء المختلفة لألفاظ القرآن الكريم ، مما يتعلق بالحروف والحركات والهيئات الصوتية، وقد نُقلت تواتراً عن أئمة القرّاء، على وجهٍ يوافق العربية ورسم المصحف العثماني .

المطلب الثاني : نشأة القراءات القرآنية تاريخيا

نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف وترتبط القراءات القرآنية ارتباطا وثيقا , وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ الصحابة رضي الله عنهم بهذه الأحرف وكل واحد يأخذ القراءة ويقرأ ويقرئ بالتواتر والنقل وانتشرت في الأمصار حتى وصلت إلى زمن التدوين وهذا ما سنحاول تفصيله .

- ✓ متى كانت الرخصة بالأحرف السبعة ؟

[1] المكي بن أبي طالب." الإبانة عن معاني القراءات " تح: عبد الفتاح اسماعيل.الناشر :دار نهضة مصر للطباعة.دت.ص45.

[2] ابن الحاجب , " الكافية في النحو " تح: صالح عبدالعظيم.مكتبة الآداب.ط1.سنة1986. ص 112.

وقع الخلاف عند العلماء في بداية نزول القراءات وأوجه الاختلاف في الكلمات هل بدأ نزولها بمكة أم المدينة فالمسألة في هذا المجال على قولين:

➢ **القول الأول :**

بداية النزول كانت بمكة وذلك بحكم الأدلة الآتية :[1]

- الأحاديث الواردة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف , ومنها : "**أقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف** ". فوجه الدلالة واضح في أن القراءات تزامن نزولها مع نزول القرآن الكريم .
- معظم سور القرآن الكريم نزلت بمكة المكرمة .
- الغاية التي نزل من أجلها القرآن الكريم هي التخفيف والتيسير وهده الحالة موجودة بمكة والأمة أحوج إليها قبل المدينة المنورة .

➢ **القول الثاني :**

بداية نزول القراءات القرآنية بالمدينة المنورة وذلك بالنظر للأدلة الآتية :

- عن ابن عباس رضي الله عنهما,أن رسول الله ◻ قال: " **أَقْرَأني جِبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**..." وكان النبي ◻ **حينها** عند (أضاة بني غفار) وهو مستنقع ماء قرب المدينة المنورة .[2]

- الأحاديث التي وقع فيها الخلاف بين الصحابة في أوجه القراءة كانت بالمسجد ومعلوم أن المسجد كان في المدينة المنورة ولم يكن في مكة المكرمة .

قول ابن حجر :" **أنزل أولا بلسان قريش ثم سهل على الأمة أن يقرؤوه بغير لسان قريش وذلك بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام لقد ثبت أن ورود**

[1] محمد سالم محيسن , " القراءات وأثرها في علوم العربية ". الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ,ط1. دت. ص50-51

[2] البخاري , صحيح البخاري,تح:محمد زهير بن ناصر.دار طوق النجاة.ط1,1422هـ.ج6-ص101.رقم الحديث4941

التخفيف بذلك كان بعد الهجرة ." يدل هذا القول على أن حكمة نزول الأحرف السبعة بالمدينة المنورة لأنهم كانوا متعددي اللغات واللهجات فاحتاجوا للرخصة بخلاف من كان في مكة فهم على اتصال دائم برسول الله ◘ وهم متمكنون من حفظ القرآن الكريم .

ليس من السهل القطع بترجيح أحد القولين على الآخر , ولكن الإشارات التي ذكرها أصحاب القول الثاني ربما تكون أقرب لموضوع الأحرف السبعة , وبقية الاستدلالات تبدو عقلية وتحمل الصواب والخطأ.

ويمكن القول أيضا : إن السور التي نزلت بمكة نزلت أولا على حرف واحد وكان المسلمون يقرؤونها بحرف واحد , فلما انتقلوا إلى المدينة واتسعت الأمصار وكثر الداخلون في الإسلام احتيج إلى الرخصة بتعليم وتوقيف من الرسول ◘ .

نشأة القراءات تاريخيا

بعد أن ترجح لدينا أن أكثر القراءات كانت بالمدينة المنورة وكان الصحابة يتلقون القرآن الكريم من النبي حرفا حرفا , كان الحفظ يومها في الصدور, وهكذا كانت القراءات بالتواتر والنقل ,ثم عني العلماء بالتدوين مع شروط القبول وسأجمل في ما يأتي المراحل التي مر بها العلم الجليل على النحو الآتي :

- **المرحلة الأولى** :

القرآن والقراءات في زمن النبوة يمكن إجمالها في النقاط التالية :

أ تعليم جبريل عليه السلام النبي ◘ , وكان هدفها التلقين والحفظ لما كان يتلقاه من القرآن الكريم.

ب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة امتثالا لقوله ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[1]"

وقد ورد عن ابن مسعود و أبي بن كعب وغيرهم أن رسول الله ◘ كان يقرئهم العشر أَيْ : آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل معا "[2].

ج تعليم المسلمين بعضهم بعضا بإقرار من النبي وأمره فأول من قدم إلى المدينة لتعليم المسلمين القرآن الكريم من الصحابة رضوان الله عليهم مصعب بن عمير وإنه نزل بدار القراء وكان سمي بالمقرئ, وعبد الله بن أم مكتوم ثم بلال وعمار رضي الله عنهم , ولما فتح النبي ◘ مكة ترك معاذ ابن جبل للإقراء .

د ظهور طائفة من الصحابة لقبوا بالقراء وهو بداية نشوء هذا المصلح وكانوا سبعين رجلا، وقد قتلوا في غزوة بئر معونة .

هـ تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن كاملا عن ظهر قلب في زمن النبوة ومنهم : أبو بكر الصديق , أبي بن كعب , عبد الله بن مسعود, عثمان بن عفان, علي بن أبي طالب، أبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين، قال الذهبي : فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم عرضا وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشر.

➢ **المرحلة الثانية :**

القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين يمكن إجمالها في النقاط الآتية :[3]

---

[1] سورة الإسراء الآية 106 .

[2] رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند: (5/ 410) ومداره على عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي، وعطاء بن السائب كان قد اختلط، لكن من جملة من رواه عنه حماد بن زيد وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط، وروايته عند ابن سعد في الطبقات: (6/ 172).

[3] شمس الدين المعروف الذهبي ,كتاب " معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ", سنة 1998, الناشر : دار الكتب العلمية , ط1. ج1.ص39.

1. تتلمذ جماعة من الصحابة والتابعين على جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ,فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب على أبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي صهاب المخزومي على عثمان بن عفان

2. بداية أخذ بعض الوجوه القرائية ونقلها بالرواية فقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (القراءات) وهو من أوائل الكتب المؤلفة في علم القراءات وهذه النقطة لم تتعد القرن الأول الهجري .

3. تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم مقرئا لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الغالب، وقد اشتهر أن المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان خمسة، ففي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة والقراءات الآحادية والشاذة.وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني . وقد أرسل عبد الله بن السائب المخزومي إلى مكة، وأبو عبد الرحمن السلمي غلى الكوفة وكان قبله عبد الله بن مسعود حينما أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه , وعامر بن وكان هذا في حدود سنة ثلاثين للهجرة .

- **المرحلة الثالثة :**

إن مرحلة نشوء علم القراءات والتقعيد لها وفق حركة التأليف تاريخيا سنجملها في أهم النقاط الأساسية دون الخوض في التفصيلات والتحقيقات الدقيقة وذلك ضمن النقاط الآتية : [1]

- بدأ التأليف في علم القراءات وبدء عملية التدوين , وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات منهم من يرى أنه الإمام أبو القاسم عبيد بن سلام وذهب الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني وقيل غير ذلك ولكن الذي يبدو هو

[1] عبد الهادي الفضلي , كتاب " القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف". ط1.الناشر:دار القلم.سنة 1980م ,ص 28-33 , بتصرف

يحيى بن يعمر ثم تتابع التأليف من بعده وقد زاد عدد المؤلفات بعد " **ابن يعمر** " **إلى تسبيع** " **ابن مجاهد** " السبعة واقتصاره عليهم وجعلهم في مصنف خاص على ما يذكر الدكتور عبد الهادي الفضلي عن أربع وأربعين مصنفا .

- تسبيع السبعة والاقتصار عليهم وذلك في مؤلف(السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي وبدء ظهور شروط القراءات الصحيحة وتمييز الصحيح من الشاذ.

- بعد مرحلة التسبيع جاءت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية . وسيأتي الكلام عنها في مبحث القراءات القرآنية والتقعيد النحوي .

- توالى التأليف في القراءات السبع ومن أبرز هذه الكتب " **التيسير** " لأبي عمرو الداني (ت444هـ) ونظمه الشاطبي (ت590هـ) وتعد هذه النقطة هي الفاصلة للتفرقة بين القراءات الصحيحة والشاذة لاشتهار كتاب التيسير ونظم الشاطبي .

- ثم جاءت مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها دفعا لما علق في أذهان كثيرين أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، قال أبو الفضل الرازي "....**إنما الناس أنما ثمّنوا القراءات وعشّروها وزادوا على السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة ....وليعلم أن ليس المراعي في الأحرف السبعة المنزلة عددا من الرجال دون آخرين ولا الأزمنة ولا الأمكنة وأنه لو اجتمع عدد لا يحصى من الأمة فاختار كل واحد منهم حروفا بخلاف صاحبه وجرد طريقا في القراءة على حدة في أي مكان وفي أي أوان .....**"[1], المقصود بالتفريد: إفراد قراءة واحدة بالتأليف , والتسديس : ذكر ست قراءات في مؤلف واحد وهكذا والهدف من هذا أمران :

- إزالة ما توهمه كثيرون من أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة .

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص 32–33

بيان أن هناك قراءات أخرى غير السبع مقبولة وصحيحة .

أثر ابن مجاهد في تأليف القراءات السبعة :

ذكر **ابن مجاهد** أن القراء السبعة الذين ضمن كتابه قراءاتهم خلفوا التابعين في القراءة وأجمعت العامة على قراءاتهم , وفي هذا يقول بعد أن ترجم لهم : " **فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين وأجمعت على قراءاتهم العوام من أهل كل من هذه الأمصار التي سميت , وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار**...."[1] والذي ينعم نظره في هذا النص يجد أن **ابن مجاهد** يعد قراءة السبعة هي القراءات المجمع عليها وما سواها ليس كذلك وكان للعلماء رأيان في صنيعه , حيث ذهب جماعة [2] منهم للومه وتخطئته , وآخرون إلى التماس العذر له وبيان أنه لم يقصد أن هذه القراءات هي المقصودة بالحديث .

وبعد ذلك توالى التأليف في القراءات السبع التي اختارها **ابن مجاهد** , **فألف مكي بن أبي طالب** : " **التبصرة** ", و" **الكشف** " , **وألف أبو عمر الداني** :" **التيسير وجامع البيان** " , **وألف ابن شريح** : " الكافي ", **ونظم الشاطبي قصيدته** " **حرز الأماني ووجه التهاني** ". وقد كانت مؤلفات الداني ومعاصريه من القرن الخامس حدا فاصلا بين القراءات الصحيحة والشاذة لاسيما مؤلفات الداني بما لقيته من شهرة وإقبال دراسي عليها وبما حظيت به الشاطبية من شرح ودرس .[3]

وذلك لأن مؤلفات القرن الرابع أمثال السبعة **لابن مجاهد** قراءات صحيحة شذذها رجال القرن الخامس ومن بعدهم كقراءة ابن كثير (**غير المغضوب**) في

---

[1] أبوبكر ابن مجاهد البغدادي التميمي , كتاب " السبعة في القراءات " ,ط2, الناشر :دار المعارف- مصر : , سنة 1400 هـ . ص87.

[2] ابن الجزري ،كتاب " منجد المقرئين ومرشد الطالبين " , تح : ناصر محمدي جاد ,ط1 سنة 2010, دار الآفاق العربية . منقول بتصرف . ص79- 81

[3] عبد الفتاح القاضي، " الإيضاح على متن الدرة المتممة للقراءات العشرة للإمام ابن الجزري " , الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث –القاهرة- , د ط , تاريخ الإصدار :01 يناير 2006, ص65. بتصرف

الفاتحة ينصب غير , وقراءته (**لإحدى الكبر**) في المدثر بغير همز (لحدى) وقراءات شواذ وردت في مختصر البديع لابن خالويه.

– أنواع القراءات القرآنية و مقاييسها

تنوعت القراءات القرآنية وتذيلت من حيث النوعية بحسب معايير تحدد نمطها وتصنفها وفق ترتيب منطقي تحكمه جملة من المقاييس نذكر هذه الأنواع في الآتي:

1. القراءات المتواترة

وهي ما رواه جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهى السند ، وهذا النوع يمثل القراءات العشر، والقراءات العشر هي القراءات التي السبع التي تنسب إلى الأئمة السبعة المشهورين ، مضافا إليهم الأئمة الثلاثة والقراءات العشر تتميز بصفة التواتر ليتلقاها جيل عن جيل ، أي أنها القراءة التي تجتمع فيها أركان صحة القراءة والقراءة الصحيحة هي ما صح سندها بنقل العدل الضابط كذا إلى منتهاه ، ولا يقرأ إلا بما استفاض نقله.[1] وتلقته الأئمة بالقبول كمقادير المد الزائد على القدر المشترك بين أهل الأداء ، غير أنه ملحق بالمتواتر حكما لأنه القرآن المقطوع.[2]

ومما يظهر لنا أن القراءات المتواترة التي نقلت بالتواتر يستحيل تواجد الخطأ أو الكذب فيها .

القراءات المشهورة :

هو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية الرسم واشتهر عند القراء فلم يعد من الغلط و لا الشذوذ، ومثاله ما اختلفت في نقله عن العشرة، فرواه بعض الرواة عنهما دون بعض، وقد ذكر كثيرا في هذا النوع الداني في التيسير و الشاطبي في

[1].حازم سعيد حيدر. علوم القرآن بين البرهان و الإتقان – دراسة مقارنة– دار الزمان، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 23

[2]السيوطي،المرجع السابق ص.256

الشاطبية[1] أي أنهما النوعان اللذان يجب التصديق الجازم بهما من غير نقص اعتقاد أو تشكيكن يقول البيهقي" :إتباع من قبلنا في الحرف و القراءات سنة متبعة لا يجوز مخالفة في المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة .[2]

أما القراءات المشهورة فإنه يجب علينا التصديق الجازم بها وبالمتواترة دون شك باعتبارهما سنة متبعة

2. الآحاد :

ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به فَقَدْ فَقَدَ هذا النوع شرطا أو شرطين من شروط قبول القراءة,ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم عن طريق أبي بكرة أن النبي ◘ قرأ "**رفارف** "[3] بزيادة الألف بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[4] وذلك أن القرآن الكريم لا يقبل خبر الآحاد لأنه يحتمل السهو و الخطأ و النسيان فيقع الاختلاط كلما طالت سلسلة الرواة ، لذا يشترط فيه التواتر المستفيض الذي يطمئن إليه ، بحيث يستحيل تواطؤ الجماعة على نسيان أو سهو أو خطأ أو كذب.

3. الشاذ :

هو ما لم يصح سنده، وهي قراءة لا تجوز قراءتها لا في الصلاة و لا في غيرها [5] أي أنها خرجت عن أركان القراءة الصحيحة، وألحق بها القراءة الضعيفة .

---

[1] المصدر نفسه

[2] البيهقي السنن الكبرى، دار المعارف، بيروت ، لبنان، ط2،1927 ، ج2، ص.385

[3] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ج1، ص

[4] سورة الرحمن –الآية 76

[5] صبري عبد الرؤوف، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997،د ط . ص 88.

4. الموضوع :

هو ما نسب إلى قائله من غير أصل.

5. ما يشبه المدرج من أنواع الحديث :

وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير.[1]

كل ماخرج عن إطار القراءات العشر المتواترة فهو ينتهي إلى الشاذ، الذي لا يقرأ به ولكن يؤخذ كمقياس للتقعيد اللغوي، على اعتبار أنها واردة في الأثر، وذلك لأنها خالفت شرطا من الشروط الثلاثة التي تضمن صحتها.

✍ **مقاييس القراءة الصحيحة:**

يشترط العلماء في القراءة الصحيحة اجتماع ثلاثة أركان ، وضعوها في منتهى الدقة وضبطوها أيما ضبط لتفادي أي لبس أو طعن قد يعتريها ، نذكرها كالآتي :

- **أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا:**

عندما اتخذ **عثمان –رضي الله عنه–** قراره بكتابة المصحف الشريف أخذ في الاعتبار مراعاة المقاصد الإلهية ، والسير على الهدي النبوي ، "فأمر القائمين على النسخ بأن يكتب المصحف محتملا بعض قراءاته "[2] ، وذلك حتى يستوعب قدر الإمكان ما كان مرخصا به من القراءات في عهد الرسول ◘ .

هذا يعني أن المصاحف العثمانية حينما كتبت لم تكن معجمة بعد، فكانت الكلمة الواحدة غير محدودة ومحتملة الحروف ، فتتجاذب الأفكار بين باء وياء، وحاء وخاء، مثل: يَكْذِبُون ويُكَذِّبُون، وتبينوا وتثبتوا، فالصحابة اعتمدوا هذا الشرط على حسب ماعرفوا من لغات القراءة، وهذا الأخير معيار دقيق يعبر عن طبيعة العلاقة

[1] السيوطي.المرجع السابق ، ص 242.

[2] عبد الصبور شاهين .تاريخ القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص 89.

بين القراءات القرآنية والرسم العثماني فالمصحف الكريم الذي أجمعت الأمة على قبوله و الرسم العثماني هو النص القرآني الثابت.

- **أن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه سواء كان فصيحا أم أفصحا، مجمعا عليه أم مختلفا فيه :**

وهذا يتوقف على الجبلة و السليقة العربية في تعاملها مع اللغة، "فالأصل في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لقواعد اللغة العربية، نظرا لأن القرآن نزل باللغة العربية، ولا يتصور أن تكون هناك قراءة ليست متلائمة مع القواعد النحوية، ومع هذا فإن علماء القراءات يعتمدون في صحة القراءة القرآنية على الإسناد الصحيح، ولا يبحثون عن مطابقة القراءة للقواعد النحوية، ولا على ما كان فاشيا من أساليب العربية، بل يعتمدون على ما ثبت لديهم من أثر، وصح عنهم في الرواية "[1].

وما أراه هو أن هذا الركن يدل على مرونة النص القرآني واستيعابه للهجات العرب الفصيحة فالقراءة الصحيحة لا تخضع لتقلبات القواعد النحوية بل إن الأثر والنقل الثابت هو الأصل والحكم على اللغة ذاتها.

- **التواتر:**

وهو أن يروي القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم ، وهكذا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، بدون انقطاع السند، غير أن ابن الجزري يرى أن صحة السند بأن يروي القراءة العدل الضابط عن مثله من أول السند إلى آخره، حتى ينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتكون القراءة مع ذلك مشهورة عن أئمة الشأن الضابطين لها قال **الإمام النويري:** " **وهذا لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة... هو مانقل بين دفتي المصحف نقلا**

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ج1، ص 16.

متواترا، فالتواتر جزء من الحد، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به ، وعلى هذا لابد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة، لم يخالف منهم أحد فيما علمت بعد الفحص الزائد..على اشتراط ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقا ورسم المصحف ولو تقديرا فهي من الأحرف السبعة، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ "[1]وقد استعمل العلماء كلمة متواتر لإفادة أن المنقول متيقن الثبوت عند النقل إليه، والمشهور عندهم تواتر القراءات السبع واختيار كثير من الأصوليين تواتر العشرة ، وتواترها متفق عليه بين القراء.

القراءات الشاذة وأنواعها:

❖**أولًا: مفهومها لغة واصطلاحًا:**

الشاذ لغة: المنفرد، وهو ما ندر عن الجمهور.[2]

وأما القراءة الشاذة اصطلاحًا، فهي ما اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة المقدمة: التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. [3]

غير أن جمهور القراء يعتبرون الشاذ ما كان غير متواتر، فالاتحاد عندهم في حكم الشاذ، وهي القراءة التي اختل فيها ركنها الركن وهو التواتر، وهذا الركن يعد الركن الأهم، والمعول عليه في اعتبار إثبات قرآنية الرواية، فمتى فقدت الرواية أحد هذه الشروط، تكون شاذة ويحكم بعدم قرآنيتها، ولا تعتبر قرآنًا.

قال الحافظ ابن الجزري: "... ومتى اختل ركن من الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة ... هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف .[4]

---

[1] ابن أبي شامة المقدسي ، " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز " تح/ ابراهيم شمس الدين، الناشر : دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1 سنة 2003م. ص 172.

[2] ا بن الجزري. " النشر في القراءات العشر". تح/ علي محمد الضباع. الناشر : المطبعة التجارية الكبرى ,تصوير دار الكتاب العلمية. (ج1:ص91).

[3] شعبان محمد إسماعيل، القراءات، أحكامها ومصادرها، ص 128.

وما أعتقده هو أن شرط التواتر يمثل صمام الأمان والضمانة التي حفظت النص القرآني من أي تبديل , فاعتماد الأئمة على النقل الجماعي يقطع الطريق أمام أي شك في ماهية القرآن وثبوته.

❖ثانيًا: رواة القراءات الشاذة:

ينقسم رواة القراءات الشاذة إلى قسمين هما :[1]

أ **القسم الأول:**

ويقصد به الذين رووا القراءات الشاذة بصورة عامة، وهم كثير حتى روي عن بعض الأئمة العشرة رواية بعض القراءات الشاذة، ومنهم بعض الصحابة كابن مسعود (ت 32هـ)، ومسروق بن الأجدع بن مالك (ت 62هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت 73هـ) رضي الله عنهم، ومن التابعين: كنصر بن عاصم الليثي البصري (ت 99هـ)، ومجاهد بن جبر (ت 103هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت 105هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت 105هـ)، ومحمد بن سيرين (ت 110هـ)، وقتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي (ت 117هـ)، وغيرهم.

القسم الثاني:

وهم أشهر أصحاب القراءات الشاذة، وهم أربعة، جمعهم بعض العلماء كالقباقبي في إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، والدمياطي في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، وسأعرف بهم بصورة موجزة كما يلي:

1. **ابن محيصن** :هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، قال ابن مجاهد" :كان لابن محيصن

[1] الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. ط 8 : مادة: (شذ)، ص 427.

اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه [1]توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة.

2. **يحيى اليزيدي** :هو أبو محمد يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري، المعروف باليزيدي، إمام نحوي مقرئ، توفي سنة اثنتين ومائتين.
3. **الحسن البصري** :هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، إمام أهل زمانه علماً، وعملاً، وفصاحة ونبلاً، توفي سنة عشر ومائة.
4. **الأعمش** :هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش، الأسدي الكوفي مولاهم الإمام الجليل، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة .

❖ **ثالثاً: أنواع القراءات الشاذة:**

◆ **النوع الأول:**

يقصد به ما ورد آحاداً وصح سنده، ولكنه خالف رسم المصحف أو خالف قواعد العربية أو لم يشتهر الاشتهار الذي اشترطه مكي وابن الجزري رحمهما الله تعالى، ومثال هذا النوع: ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة: أن النبي ◘ قرأ: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[2] ، وأخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ◘ قرأ: «**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين** »، وغيرها من الأمثلة .[3]

◆ **النوع الثاني:**

وهو ما لم يصح إسناده، ومن ذلك قراءة «مَلَكَ يومَ الدين» بصيغة الماضي، ونصب «يوم»، و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ببنائه للمفعول.

---

[1]أحمد خالد شكري , ومحمد أحمد مفلح القضاة , " مقدمات في علم القراءات " , ط1 , سنة 2001م , دار عمار/عمان , ص73. منقول بتصرف

[2] سورة الرحمن الآية76.

[3]أحمد خالد شكري , المنير في أحكام التجويد.الناشر:جمعية المحافظة على القرآن الكريم.سنة 2007م .ص73-74.

النوع الثالث:

يتعلق هذا النوع القراءات التفسيرية، وهي التي سيقت على سبيل التفسير وهو يشبه أنواع الحديث المدرج[1] مثل قراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخٌ أو أخت من أم»، وكقراءة ابن عباس: «**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج**» ، وغيرها [2]، وقد كانوا يدخلون هذا النوع في التفسير؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ◻ ، وهم الذين حضروا التنزيل وهم أولى الناس بتأويله.

قال أبو عبيد القاسم بن سَلَّام: «المقصد من القراءة الشاذة: تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها كقراءة عائشة، وحفصة رضي الله عنهما: «**والصلاة الوسطى، صلاة العصر**»، وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «فاقطعوا أيمانهما»، وقراءة جابر رضي الله عنه: «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم»، فهذه الحروف، وما شاكلها قد صارت مُفَسِّرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل[3] وقد اتفق القراء جميعاً بعد ذلك: على أن ما وراء القراءات العشر التي جمعها القراء العشرة والواردة في طيبة النشر لابن الجزري شاذ، أي: غير متواتر، ولا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة به

[1] المدرج عند المحدثين : أن تزاد لفظة في متن الحديث , أو سنده من كلام الراوي فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث وهو محرم إذا كان المدرج متعمدا إلا أن يكون على سبيل التفسير والتوضيح فلا بأس به , والأولى أن ينص الراوي على الكلمات التي أدرجها .ينظر :أحمد محمد شاكر, الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير, ص69-73.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج1.ص168.

[3] الصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، ص١٨، وهو المفهوم من قول الفقهاء والأصوليين، وينظر أيضا : ابن عابدين، رد المحتار (486/1).

- **حكم القراءات الشاذة:**

القراءات الشاذة لا تعتبر قرآناً، ولا يجوز اعتقاد قرآنيتها، ولذلك لا تجوز قراءتها في الصلاة وفي خارجها، ولكن يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب. كما أنها حجة عند الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي وإثباته بها .[1]

وهنا أرى أن سلب صفة القرآنية عن القراءات الشاذة ومنع الصلاة بها يعد حماية لقطعية النص التنزيلية ومع ذلك فإن إجازة تعلمها وتدوينها يبرز قيمتها العلمية الكبيرة كأداة لغوية وتشريعية مساندة في التفسير واستنباط الأحكام.

رابعا : أهم المصنفات في القراءات الشاذة وطريقة معرفتها :

لقراءات الشاذة مصنفات خاصة بها، نذكر من أبرزها و أهمها :

1. الشواذ في القراءات: لابن مجاهد ولابن جني توجيه القراءات التي فيه بكتابه: المحتسب.
2. البديع في القراءات، ومختصره، وقد نُشر المختصر بعنوان: مختصر في شواذ القرآن، كلاهما لابن خالويه .
3. التعريف بالقراءات الشواذ لأبي عمرو الداني .
4. الإقناع في القراءات الشاذة لأبي علي الأهوازي.
5. اللوامح في شواذ القراءات لأبي الفضل الرازي .
6. شواذ القراءات واختلاف المصاحف لمحمود بن عبد الله الكرماني.
7. التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن لعبد الرحمن الصفراوي .

[1] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت دار المعرفة، د.ت.

- **طريقة معرفة القراءة الشاذة :**

يمكن لطالب العلم أن يتعرف على القراءات الشاذة عن طريق مراجعة الكتب الصحيحة المؤلفة في القراءات السبع أو العشر المتواترة فإن ما سواهما شاذ، أو مراجعة الكتب المتخصصة في البحث في القراءات الشاذة أو مراجعة كتب التفسير التي تعتني ببيان القراءات إجمالاً كتفسير **الطبري والزمخشري وأبي حيان الأندلسي**، وأخيراً مراجعة أئمة القراءة المعروفين الضابطين المتقنين " [1]

وما يظهر لي أن تتبع القراءة الشاذة في كتب القراءات والتفاسير الكبرى يبرز دقة المنهج التوثيقي عند علمائنا.

- **أمثلة عن القراءات الشاذة :[2]**

✓ – قرأ الضحاك بن مزاحم : (وما أنزل على المَلِكَيْنِ أي : داود وسليمان . عليهما ، وسبب شذوذ هذه القراءة، أنها غير متواترة، والقراءة المتواترة هي قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** ﴾[3]

✓ – قرأ أبو موسى الأشعري: «ولا تناسوا الفضل بينكم، وسبب شذوذها: عدم التواتر، فالرسم العثماني يحتملها إن ألحقت الألف في موضعها، والقراءة المتواترة هي قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾[4]

✓ – قرأ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : وله أخ أو أخت من أمه» بزيادة لفظ : "من أمه " وسبب شذوذها أمران أنها غير متواترة ومخالفة للرسم العثماني، والقراءة

[1] شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، ص105.

[2] شعبان محمد إسماعيل المصدرالسابق ، ص108-110. .

[3] سورة البقرة-الآية 102

[4] سورة البقرة-الآية 238

المتواترة هي قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ** ﴾[1]

✓ – قرأ أبي بن كعب رضي الله عنه : تأتينكم بتاء التأنيث، لأن الفاعل، وهو «رسل» جمع تكسير ، ، فيجوز في فعله التذكير والتأنيث وسبب شذوذها عدم التواتر، والقراءة المتواترة هي قوله تعالى: ﴿**يَبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ ءايتي** ﴾[2] **(سورة الأعراف –الآية 35)**

بناء على ما تقدم من تعريف القراءات، وتقسيم القراءات إلى متواترة وشاذة، يظهر أن التقسيم هو باعتبار صحة نقل الرواية، وعدد الناقلين.

- **علاقة القراءات باللهجات العربية**

نزل القرآن الكريم نصاً معجزاً يتحدى العرب بلغتهم التي كانت منهم وإليهم، وكان طبيعياً أن يخاطبهم بما اعتادت عليه ألسنتهم حتى يكون أقرب إلى قلوبهم.

وقد رأيت ما رأيت عن حديث الأحرف السبعة، وعن أنه ▫ بعث «**إلى أمة أميين ومنهم الغلام والخادم والشيخ العاصي والعجوز**». ورأيت ما علل به ابن قتيبة وابن الجزري اختلاف القراءات لاختلاف اللهجات. ثم رأيت أيضاً هذا الضابط الذي وضعوه للقراءة الصحيحة، والذي أحد اشتراطه أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه. وموافقة العربية ولو بوجه هو ما نعتقده هنا من صحة القراءة بلهجات العرب على اختلافها، يؤكد ذلك ما يقرره ابن خالويه في أول حجته بقوله « **فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرف مذهباً من العربية لا يدفع، وقصد من**

[1] سورة النساء– الآية12

[2] سورة الأعراف –الآية 35

القياس وجهاً لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار ». [1]

فالقراءات القرآنية إذن هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية، لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث، وقد رأيت ما كان من رسول الله ◘ من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل، وما كان من إقرائه الصحابة وقراءتهم عليه.

وعلى هذا المنهج سار أصحاب القراءات «**فلم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل، وإن اكتفوا به في الحديث، قالوا لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء، أي ولابد من قراءة الطالب على الشيخ ».**[2]

فالقراءة إذن لا تكتفي في النقل بالسماع، بل لابد من شرط التلقي والعرض، وهما أصح الطرق في النقل اللغوي. وكان من نتيجة ذلك ما رأيت من أن «**أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليهم ». أضف إلى ذلك أن أصحاب القراءات رغم شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان كانوا على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها، فقد كان ابن كثير «أعلم بالعربية من**

[1] ابن خالويه: الحجة في قراءات الأئمة السبعة. مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٩٨٢ ب . ص١

[2] الدمياطيّ الشهير بالبنا , إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر.. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ .ط3, 2006م ص ٤/٣.

مجاهد »[1] وعرف عن عاصم أنه «**جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد** «**كما عرف عن حمزة أنه** «**كان ثقة كبيراً، حجة رضياً، قيماً بكتاب الله، مجوداً، عارفاً بالفرائض والعربية.**».[2]

والحديث عن أبي عمرو ابن العلاء و الكسائي إمامي أهل البصرة والكوفة من هذه الناحية لا يحتاج إلى بيان.

لكن هل كان القراء على درجة من الضبط والدقة في النقل بحيث لا يلتبس عليهم شيء، وبحيث نقبل عنهم قراءاتهم على أنها مصدر لدراسة اللهجات قبولاً مطلقاً ؟

إن هناك نصوصاً ينبغي أن نتوقف عندها قليلاً. ففي اختلافهم في قراءة «فنعما هي» قرأ أبو جعفر وأبو عمرو بكسر النون وإسكان العين . ويعلق أبو علي على ذلك : «ولعل أبا عمرو أخفى ذلك (أي حركة العين) كأخذه بالإخفاء في «**بارئكم**» و«ي**أمركم**» فظن السامع الإخفاء إسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه » [3]،ويقول ابن جني «ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾[4] مختلساً لا محققاً، وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) مخفى لا مستوفى، وكذلك قوله عز وجل (فتوبوا إلى بارئكم) مختلساً غير متمكن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ، لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً، ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة، لكن أتوا من

[1] محمد علي شمس الدين الدمشقي , " غاية النهاية في طبقات القراء" , تح: ج: برجستراسر .الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ,ط1 ,2006م , ج 1 ص 443 .1

[2] الجزري ' النشر في القراءات العشر،ج1 ص166..

[3] .أبو علي الفارسي: الحجة في القراءات السبع. مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم 3570 ب 37:3

[4] سورة يوسف–الآية 11

ضعف دراية ». [1] فماذا يكون موقفنا من هذه النصوص ؟ هل نوافق سيبويه وأبو علي وأبو الفتح على ما ذهبوا إليه فنجرح هذه القراءات؟ أم أننا ينبغي أن نضع في اعتبارنا حقيقة هامة، وهي أن هؤلاء الثلاثة نحاة ، وأن الآخرين قراء، وفرق كبير بين هؤلاء وأولئك ؟.

إن النحاة أصحاب تقعيد وتنظيم، وهذه الروايات التي تخرج عن قواعدهم كانت عندهم شاذة فلا يكون منهم إلا تجريحها وإخراجها على التوهم، والقراء أصحاب أداء، وهم أهل تلق وعرض، فهم من هذه الناحية أدق من النحاة في نقلهم للغة نتحسب أن الحق في جانب القراء حيث إن بحثنا في اللهجات يثبت أنه قد كانت هناك لهجات مستعملة تؤيد هذه القراءات ، ولو كان النحاة مهتمين بدارسة اللهجات العربية القديمة لما ردوا هذه القراءات ولما جرحوا أصحابها.

ولقد كان أصحاب القراءات والمهتمون بها يدركون هذا الفرق بين منهجي النحو والقراءات، ويرون بحق أن منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا أن يخضعوا لها العربية.

والآن، إذا كنا مصيبين في نظرتنا إلى القراءات القرآنية، وإذا كنا نعتمد عليها في المقام الأول لمعرفة اللهجات العربية قبل الإسلام، فهل نعتمد على القراءات الصحيحة وحدها دون الشاذة أم نعتمد عليهما معاً ؟

نحن لا نستطيع أن نعول على القراءات الصحيحة وحدها في معرفة اللهجات العربية ، إذ أن العبرة في اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات، وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأولون، لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة [2] حين سبع **ابن مجاهد** القراءات السبع وشذ ما عداها.

[1] ابن جني , الخصائص, تح : محمد علي النجار, الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ., الطبعة الأولى .2006م ج1,ص83.

[2] شمس الدين الدمشقي , " غاية النهاية في طبقات القراء" ,ج1.ص139..

« **فالقراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً ..... فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين** »[1].

ولو بقيت هذه القراءات حتى اليوم لكان محتملاً أن تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات تصوراً أكثر وضوحاً. وعلى أية حال فإن القراءات الشاذة جاءت منقولة مروية ، والرواية تبلغ بها عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الأمر الذي يهمنا هنا إذ تعتبر بذلك صورة لاختلاف اللهجات، وقد قرأت قول ابن جني حين قال «إلا أنه (أي الشاذ) مع خروجه عنها (أي الصحيحة) نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه ووراءه ، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة المجتمع عليه و « الرواية تنميه إلى سيد الخلق محمد رسول الله □ » ، والله تعالى يقول: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [2]وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وآخذه هو الآخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه؟ ».

وعلى ذلك يقرر السيوطي أن «**كل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه** » .[3]

نحن إذا نستطيع أن نعتمد على القراءات صحيحها وشاذها في معرفة اللهجات العربية ، لكن كيف؟

---

[1] الجزري , " النشر في القراءات العشر " ج1.ص33

[2] سورة الحشر–الآية 07

[3] السيوطي: الاقتراح في أصول النحو وجدله.حققه وشرحه: محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) الناشر: دار القلم، دمشق .ط1 سنة 1987م ص17.

هل نعتمد في معرفة اللهجات على القارئ نفسه، فنبحث عن تراجم القراء، فإذا كان منهم قرشي قلنا إن قراءته هي لهجة قريش، وإن كان منهم تميمي قلنا إن قراءته هي لهجة تميم؟ ثم نذهب أبعد من ذلك فنبحث عن الصحابي الذي تنتمي إليه القراءات فنعزوها إلى لهجة قبيلته؟ أم نعتمد على بيئة القراء، فنبحث هذه البيئات ومن كان ينزل بها من

قبائل، فنقول على ذلك إن قراءة **الكسائي** تمثل لهجة الأوس والخزرج مثلاً ، وإن قراءة ابن كثير تمثل لهجة قريش، وإن قراءة **الكسائي** تمثل لهجات القبائل التي كانت تنزل الكوفة وهكذا..

نحن لا نستطيع أن نتخذ أياً من هذين السبيلين، للأسباب الآتية :

١ — إنّ القراء لم تكن تروى عنهم رواية واحدة، بل جاء عنهم كثير من الروايات في قراءة واحدة، فإذا كانت هذه الروايات يمكن أن تنسب إلى قبيلة والأخرى تنسب إلى غيرها، فماذا يكون الموقف ؟.

٢ — إنّنا لو فعلنا ذلك لكنا متناقضين مع المنهج الذي قررناه في القراءات من أن القارئ ليس غير ناقل للقراءة تلقاها ثم عرضها على أشياخه، ثم إن هؤلاء القراء أخذوا عن كثير من الشيوخ على نحو ما نعرف من أن نافعاً قرأ على سبعين من التابعين فإلى أيهم ننسب قراءته؟.

٣ — إنّ القارئ لا يمثل بيئته تماماً، وخير مثال عندنا ابن كثير قارئ مكة، ومكة منزل قريش، وقريش تسهل ولا تهمز، وابن كثير كان أكثر الهامزين [1].

[1] أبو علي الفارسي , " الحجة في علل القراءات السبع ".تح: عادل أحمد عبد الموجودوعلي محمد معوض, الناشر :دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.ط1 سنة 2007م . ج6,ص67

٤ إنّ العربي كان يستطيع أن يجمع بين أكثر من لهجة على النحو الذي بيناه من قبل ، ثم إن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشي من لهجة واحدة وقبيلة واحدة.وعلى هذا لا نستطيع أن نسلك هذه السبيل أو تلك، لكننا نتبع منهجاً آخر، وهو أن نجمع هذه القراءات من مظانها، ونخرج منها ما نراه ممثلاً للهجة من اللهجات، ونعزو هذه اللهجات إلى قبائلها، ونبحث عما يؤيدها في المصادر الأخرى من اللغة والأدب، وندرسها الدرس اللغوي العلمي الحديث .

✍ **التفاعل المستوياتي في الخطاب القرآني في ضوء القراءات القرآنية:**

إن التشريح المستوياتي الذي قدمه الدرس اللساني جعل من تحليل النص القرآني أكثر دقة، حيث يسمح للباحث أو الدارس أن يستقرأ كل مستوى على حدى، ولكن وفق تفاعل دلالي تحيكه البنى اللغوية، لتكمل كل ظاهرة الأخرى (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية)، وبالتالي فالقراءات القرآنية هي المضمار الأنسب لاستقراء مثل هذه التفاعلات وفق رؤية لسانية تستقى من التراث اللغوي، لتؤسس قاعدة مضبوطة ومقاسة على لغة متجذرة في ثنايا اللسان العربي، وما نحن بصدد ذكره ماهو إلا شذرات من زخم من الظواهر اللغوية المترامية على مدى النسق القرآني نوجزها في الآتي :

الاختلاف الصوتي :

تتأثر الأصوات اللغوية ببعضها البعض في الأداء لبعض القراءات القرآنية، نتيجة الفطرة الإنسانية القائمة على حب السهل اليسير، واختصار الجهد أثناء القيام بعملية

النطق، فيلجأ إلى" تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى أيسر في النطق، وأكثر تألفا مع الأصوات المجاورة لها ليحصل الانسجام الصوتي أثناء الأداء[1] ".

- من بين الظواهر الصوتية الواردة في أداء بعض القراءات القرآنية ما يأتي :

أ- **تسهيل الهمز وتحقيقه :**

تسهيل الهمز معروف منذ القدم فقد "جنحت اللهجات السامية إلى التخلص منه النطق"[2] ، والهمز من الظواهر التي تطرق إليها علماء القراءات والتجويد وحتى علماء اللغة، نظرا لصعوبة نطق الهمزة وتضارب الآراء حول طبيعتها، وهي من الناحية الصوتية الفيزيائية حرف بعيد المخرج، والاجتماع منعقد لدى القدماء على نقله، فقد أتت على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام عامة، فجاءت محققة ومخففة ومبدلة بغيرها، وملقى حركتها على ما قبلها، ومحذوفة ومثبتة ومسهلة بين حركتها والحرف الذي منه حركتها [3] ، ويمكن تلخيص الحالات التي تعتري الهمزة في نقطتين هما :

- ***التحقيق***: "

هو إخراج الهمزة (مخرجا وصفة) من أقصى الحلق "[4] ،حيث وقعت في الكلمة مفردة كانت أو جاورتها همزة..

- **التسهيل:**

وله عند القراء معنيان: الأول مطلق يشمل الحذف والإبدال، والثاني بين بين، والحذف هو إسقاط الهمزة تماما، ويكون في الهمزات المتطرفة، وخاصة حال الوقف أو عند التقاء همزتين في كلمتين مثل: **قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**

[1] مناف مهدي الموسوي، القراءات القرآنية –دراسة صوتية في الأداء– كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ع8، ص 09..

[2] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، لجنة البيان، القاهرة، مصر، ط2، 1952، ص 77.

[3] نظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، 1993، ج1، ص 71.

[4] الداني ، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط1، 2000، ص 93.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]أما الإبدال فهو جعل الهمزة واوا أو ياء أو ألفا، ويعتري الهمزة في مختلف حالاتها (مفردة أو ثانية اثنتين)، مثل: المؤمن: المومن ,في حين ان تسهيل الهمزة هو نطق الهمز بينه وبين الحرف المجانس لحركه "**فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف، وبالمكسورة بينها وبين الياء، وبالمضمومة بينها وبين الواو** "[2].

ب – الإدغام: هو النطق بالحرفين حرفا واحدا، يجعل الحرف مشددا، ويكون الإدغام في المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين[3]، ولا يتحقق هذا الأخير إلا إذا اتفق الحرفان في الصفة، والمخرج، أو في الصفة أو المخرج وهو أنواع:

- **الصغير**: الأول ساكن والثاني متحرك.
- **الكبير**: الحرفين متحركين نحو: شهر رمضان.
- **المطلق**: الحرف الأول متحرك والثاني ساكن مثل: ما ننسخ.

◄ **الإدغام المتجانس**: يتفقان مخرجا ويختلفان صفة [4] ، والإدغام المتجانس لا يكون إلا في سبعة مسائل متفق على إدغامها إدغاما كاملا :

- **التاء والطاء**: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[5]

التاء والدال: قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[6].

---

[1] سورة يونس–الآية:49

[2] عبد الفتاح القاضي، النطق بالقرآن العظيم، مركز نور الشام للكتاب، دمشق، سوريا، 1993، ج1، ص 121.

[3] بن رأفت بن زلط، أحكام التجويد والتلاوة، مراجعة: عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن عبد الله، مؤسسة قرطبة، الأندلس، ط1، 2006، ص 70.

[4] محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط: طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، ص 127.

[5] سورة الأحزاب–الآية 13

[6] سورة الأعراف–الآية 189

- **الدال والتاء:** قوله تعالى:﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[1] .
- **الثاء والذال:**قوله تعالى:﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2] .
- **الباء والميم:**قوله تعالى:﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾[3].
- الذال والظاء:قوله تعالى:﴿**وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**﴾[4] .وهناك مسألة واحدة متفق على إدغامها إدغاما ناقصا، وهي الطاء التي تأتي بعدها تاء في مثل قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾[5]
- **إدغام المتقاربين:** وهو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة كالثاء والثاء، أو مخرجا لا صفة كالدال والسين، أو صفة لا مخرجا كالقاف والدال [6] .

ج- الإمالة والفتح:

الإمالة ظاهرة لهجية تميزت بها كثير من القبائل العربية التي كانت إذا تكلمت تميل الألفات، والفتح هو ظاهرة تفشت في اللسان العربي "ولما كانت القراءات القرآنية وعاء للهجات العرب، كانت ظاهرة الفتح من الظواهر البارزة، وهو عبارة عن فتح فم القارئ بلفظ الحرف، وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال أيضا: التفخيم وربما النصب، وهو فتح الصوت لا الحرف " [7] ، أما الإمالة فهي عكس الفتح، الفتح،

[1] سورة الزخرف-الآية 24
[2] سورة الأعراف:-الآية176
[3] سورة هود، الآية:-الآية42
[4] سورة الزخرف-الآية39
[5] سورةسبأ-الآية 21
[6] محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص 17.
[7] ابن الفاصح البغدادي، سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، تح: عبد القادر شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 119.

حيث يقال: "هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، لتقريب الأصوات من بعضها البعض طلبا للتخفيف والتيسير أو لبيان أصل الألف ياء، أو للتثنية على انقلابها للياء أو للمشاكلة – مشاكلتها للكسرة المجاورة لها–، وتكون في الاسم والفعل لكنها في الفعل أكثر وتسمى: "الكسر والبطح والإضجاع " ، لأنها اصطلاحا: " تميل الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء..." [1].وفي الإمالة قال الشيرازي: " أعلم أن الإمالة وإن قصدنا بها تناسب الحركات والحروف فليست بواجبة، لأن الأصل هو ترك الإمالة في الألف عدول عن أصلها وتصيرها إلى جهة الحرف [2] " ، نلاحظ أن هذا التعريف زاد حكم الوجوب أو الجواز في الإمالة، بمعنى أنها ليست ظاهرة ثابتة.

اهتم النحويون بدراسة الإمالة، فسيبويه عقد بابا في كتابه أسماه "باب ما تمال فيه الألفات"، وهو بعدها من باب المماثلة الصوتية، فالحرف يتأثر بحرف آخر فيصبح قريبا منه في النطق، والغاية منه إحداث الإمالة هو التناسق والانسجام بين الأصوات، حتى لا ينتقل من فتح إلى كسرة مرة واحدة، وهي حالة تتعلق بالنطق وليس لها رسم يمثلها.

د– التشديد والتخفيف:

وهو عبارة عن إلصاق الحرف بمخرجه بتضعيف صيغة، أي الضغط عليه حتى يصير بمقدار حرفين في الوزن بل هو في الحقيقة حرفان، مثل راء "مستمر" عند الوقف عليها بسكون، والناس ففيها نون ساكنة ونون متحركة وحركتها الفتحة [3] .

---

2. .محمد الشافعي، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 784.

[1] الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر الكبيسي والجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، السعودية، ط1، 1993، ج1، ص 270.

[2] أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات ويليه متن الدرة المضية في القراءات الثلاثة المتممة للعشرة لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 175.

والتخفيف تعبير عن معنى التسهيل وقد يراد به حذف الصلات من الهاءات وترك التشديد، أي فك الحرف المشدد القائم عن مثلين ليكون النطق بحرف واحد من الضعفين خفيف الوزن عار من الضغط حافلا في صناعة الخط من علامة الشد التي لها صورة خاصة في النقط.

أما التشديد هو النطق بحرف مضعف، وهذا النوع من الاختلاف الصوتي هو من الاختلافات اللهجية، وهي في غالب الأحيان بمعنى واحد، فالذي يستعمل صيغة فعل في بعض الكلمات لا يستعمل صيغة فعّل، ومادامت القراءات القرآنية تمثل واقعا لغويا لابد أن يقبل ويفسر، والسعي إلى تخريجها غاية لابد منها، لأن السند صحيح والقراءة متواترة، ومن أمثلة من قرأ بالتشديد في قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[1]، قرأ **الإمام خَلَف** بتشديد الطاء والهاء وهي قراءة الكوفيين (**حمزة وعاصم برواية أبي بكر**) والأصل يتطهرن [2] ، فقراءة التشديد (يطّهّرن) من المضارع يتطهَّر : يتطهَّرن- يتْطهرن- يطّهّرن. فإنّ توالي ثلاثة فتحات نوع من التثقيل، وهو ثقيل على من ألف السرعة في النطق، كما يقول قطرب: "على متشارك وساكن... لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهملة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان [3] " فالقراءة بالتخفيف توهم جواز إتيان الحائض ما لم تطهر، أو ممنوعة من الصلاة، ما لم تتطهر بالماء، فجاء

[1] سورة البقرة-الآية 222

[2] ينظر: ابن علي بن يوسف الجزري، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 96.

[3] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 80-81

التشديد لرفع هذا التوهم، أما التشديد يوهم جاوز إتيان المرأة وهي حائض إذا تطهرت واغتسلت [1] .

إن الاختلاف الصوتي المتجلي في هذا المستوى يسهم في تنويع المعاني، فالتغاير الذي يكون بين الكلمات التي وقع الاختلاف على مستوى صوامتها وصوائتها، ومهما كان هذا التغير فإن اللفظ تتغير دلالته ضمن السياق الواحد.

الاختلاف الصرفي :

يعود أصل كثير من الكلمات إلى البنية الثلاثية اسما كانت أو فعلا، ولذلك تواضع علماء الصرف على وضع ميزان الكلمات مؤلفا من ثلاثة أحرف مستمدة من مادة الفعل الأصلية "فعل"، مثل: كَبِدَ على وزن فَعِلَ، وضرب على وزن فَعَلَ [2] ، فالاختلاف الصرفي يمس الصيغة ليقوم ببيان التغيرات الفونولوجية الشائعة سواء تعلق بصيغ الأسماء من مشتقات ومصادر، أو الأفعال من بناء للمجهول أو المعلوم، ومن زيادة وتجرد، ومن تكلم وخطاب وغيبة .

هذا الفحص اللغوي في مثل هذا النمط من الاختلافات يسمح باستنباط المعاني الصرفية الوظيفية [3] ، ومن بين الظواهر الصرفية التي بحث فيها الدارسون اللغويون نجد:

- ✓ **الاختلاف في الجمع**: أسرى وأسارى.
- ✓ **الاختلاف في الزيادة**.
- ✓ **الاختلاف في الحذف والإثبات** مثل: استحييت و استحيت بيائين في لغة الحجاز، وياء واحدة في لغة تميم [4].

[4] ينظر: الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج4، ص 74.

[1] محمد عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1999، ص 35.

[2] ينظر: عبد القادر بن سلمان، الاختلاف الصرفي في القراءات العشر المتواترة –دراسة تحليلية صرفية–، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 2006، ص 14.

[3] ينظر: عبد العباس عبد الجاسم، اللهجات واللغة الموحدة المشتركة، مجلة كلية الآداب، ع 104، ص 192.

✓ **التغاير بين الإفراد والجمع :**

وهو أن يقرأ القارئ بالإفراد ويقرأ غيره بالجمع، إذ يمكن استعمال أحدهما في موضع الآخر فيؤدي هذا ما كان سيؤديه ذاك، وهذا وارد في لغة العرب، كما أن هناك ألفاظا تدل على الجمع و لا مفرد لها مثل: إبل ونساء...

✓ **التبادل بين المفرد والجمع المؤنث السالم :**

ومن أمثلة ذلك,في قوله تعالى: ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُو** ﴾[1]. وردت في قراءة **خَلَف وحمزة** وبالإفراد، وقرأ **أبو جعفر ونافع** بصيغة الجمع المؤنث السالم، فمن قرأ بالإفراد احتج بمناسبة الإفراد لما قبله (سيئة)، أما القراءة بالجمع لحمله على المعنى ألا وهو الكثرة، لأن الله تحدث عن الجماعة وإن عبر عنهم بلفظ المفرد، كما يمكن أن يكون كذلك بين المفرد وجمع التكسير نحو قوله تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [2](سورة البقرة-الآية 184) , قرأ **حفص** والجماعة كلمة "مسكين" بصيغة الإفراد، وقرأ **أبو جعفر ونافع** بصيغة الجمع .[3]

[1] سورة البقرة-الآية 81

[2] سورة البقرة-الآية 184

[2] .عبد الله بن عبد المؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، 2002، ص 149.

جدول يوضح التبادل بين الأسماء [1] :

فَعَلَ وفَاعَلَ	حامية وحامئة، ملك ومالك
المعرف بال و العلم	الغداوة والغدوة
فَعيلة وفاعلة	زكيّة وزاكية
اسم الفاعل واسم المفعول	مسوّمين ومسوّمين
فاعل وفَعَل	ساحر وسحّار
الفاعل والمصدر	طائف وطيف
فَعَل وفُعَال وفِعَال	السَّلَم والسَّلام، خِطأً وخطاءً، مُجراها ومَجراها
مَفْعَل ومُفاعل	مُعجزين ومعاجزين
الإفراد والجمع	رسالته ورسالاته

جدول يمثل التبادل بين الأفعال[2] :

الأفعال	المثال	
التبادل بين صيغ الثلاثي	فَعَلَ وفَعِلَ تَفْعُلُ وَيَفْعِلُ	بَرَقَ وَبَرِقَ تحسبُن ويحسبِن
بين الثلاثي ومزيده بحرف	فَعَلَ وأَفْعَلَ فَعَلَ وفَعَّلَ فَعَلَ وفَاعَلَ	فجمعوا و فأجمعوا غَلَقَت وَغَلَّقَت دَرَسَ وَدَارَسَ
بين الثلاثي ومزيده بحرفين	فَعَّلَ وتَفَعَّلَ يَفْعُلُ	تَلَقَّفَ وَتَلَقَّفُ يَصْعَدُ و يتصاعدُ

[3] ينظر: عبد المحسن الطبطبائي، تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2006، ص 27-28-29.

[1] ينظر: منصور سعيد أبو راس، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1995، من ص 15 إلى 176.

	ويَتَفَاعَلُ	
المبني للمعلوم والمبني للمجهول	**فَعَلَ وفُعِلَ**	**فَزِعَ وفُزِّعَ**

هـذه الاختلافـات في البنيـة الصـرفية حـددت جملـة مـن الوظـائف الدلاليـة الـتي تعطـي قيمـة فونولوجيـة للصـيغة، تجعـل المعـنى بـين القـراءات متنـاهي الدقـة، فالكلمـات العربيـة منظومـة في قوالـب مخصصـة، ولكـل قالـب معـان صـرفية تتبـاين مـن قـراءة إلى أخـرى ,مـا يمكـن الإشـارة إليـه في هـذا الجـدول هـو أن يـأتي الفعـل علـى صـيغة فاعـل في قـراءة وعلـى صـيغة فَعَّـلَ في قـراءة ثانيـة في الآيـة عينهـا، مـا يسـمح بتوليـد مـدلولات جديـدة تزيـد مـن فهـم المعـنى وتعميقـه وتـدبره، فصـيغ الجمـع في القـراءات القرآنيـة تكتسـب مرونـة وليونـة تبادليـة وتخلـق نوعـا مـن التفاعـل المكونـاتي دون حـدوث تعـارض دلالي أو تنـاقض سـياقي مثـل: سـكرى وسـكارى، وعليـه فـإن هـذا الاخـتلاف الفونولـوجي يزيـد مـن تعاضـد الصيغ الصرفية.

الاختلاف النحوي :

نتج عن تعدد القراءات واختلافها كثير من الظواهر النحوية ذات الاتجاهات المتباينة، حيث كان لها الأثر الفعال في تعزيز الدلالة وتنوعها، ولاسيما اختلافها في ضبط حركات أواخر الكلم، فقد أسهم هذا الأخير في نشأة درس الإعراب, إذ دفعت مسألة تنقيط المصحف فقط الحركات، وما وجده العلماء من اختلافات بين القراءات في حركات أواخر الكلم إلى البحث عن سبب هذه الاختلافات [1] ، فالقراءات القرآنية التي تعاورها النحاة مادة من مواد الدرس النحوي لأنها وإن تفاوتت من حيث النظرة إليها، واختلفت الآراء في رفضها وقبولها أحدثت نوعا من التفاعل

[1] عمر راشد الشنطاوي، موقف أبي منصور الأزهري من القراءات القرآنية في كتابه" معاني القراءات"، المجلة الأردنية في اللغة العربية،2013 ، ع2، مج9، ص.132

والبناء بين النحاة، وما الاختلاف إلا سبيل إلى استيعاب لغة القرآن الكريم، والوصول إلى اللفظ السليم من اللحن أو الزلل الذي قد يقع فيه كل جاهل للقراءات القرآنية.

نطرح بعض الظواهر بنوع من التفصيل الموجز، مع العلم أنها ليست من بنات أفكارنا الخالصة، وإنما هي جمع علمي لم يكن لقلمنا فيه غير التدوين والتنسيق من دون تصرف، فاكتفينا بالنقل الموثق، كالآتي:

- **العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض**

وقد اختلفت في المسألة النحوية، إذ ذهب الكوفيون إلى جواز العطف على المخفوض، دون إعادة الخافض، بينما ذهب البصريون إلى منع ذلك، وكانت حجة الكوفة أنه جاء في كلام الله عز وجل وكلام العرب شعرا ونثرا [1] مثل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[2].

- **القول في عمل إن المخففة في الاسم :**

قال الكوفيون أنها لا تعمل النصب في الاسم، ولكن البصريين قالوا إنها تعمل، ولكل منهما حجة في ذلك، فحجة الكوفيين قولهم (إن) المشددة تعمل لأنها تشبه الفعل الماضي لفظا ومعنى، وشبهها في اللفظ يظهر عند الحروف والبناء على الفتح، وإذا خففت زال شبهها به، ومنهم من قال إنّ (إن) المخففة من عوامل الأفعال، ولذلك فهي لا تعمل في الأسماء، أما البصريون فقد احتجوا في ذلك بقراءة نافع وابن كثير في قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّ كُلا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[3].

[2] المصدر نفسه.

[2] سورة النساء –الآية 01

[3] سورة هود-الآية 111

- **هل يقع الفعل الماضي حالا :**

قال الكوفيون و الأخفش بجواز وقوع الفعل الماضي حالا، أما البصريون فقالوا لا يجوز، ولكنهم أجمعوا على جوازه إذا كان معه (قد)، أو كان وصفا لمحذوف، وحجة الكوفيين في ذلك النقل والقياس، أما النقل يظهر في قوله تعالى﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾[1]، وهي قراءة **الحسن البصري ويعقوب الحضرمي** والمفضل،وأما ما جاء في القياس قولهم :ما جاز أن يكون صفة لنكرة نحو :مررت برجل قاعد، فجاز أن يكون حالا لمعرفة (مررت برجل قاعد), وكما أن الفعل الماضي جاز أن يكون صفة لنكرة (مررت برجل قعد) ، ينبغي أن يكون حالا نحو :مررت بالرجل قعد، ويؤكد ذلك أن الفعل الماضي يقوم مقام المستقبل، إذ قال تعالى :﴿**ذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[2](**سورة المائدة–الآية 110**)، أما البصريون فاحتجوا بان الفعل لا يدل على الحال، وأن ما يصلح أن يوضع موضع الحال هو ما يصلح أن يقال فيه (الآن) أو(الساعة) مثل :مررت برجل يضرب وذلك لا يصلح في الماضي .

[1] سورة النساء:90

[2] سورة المائدة–الآية 110

ويبدو لي هذا التوجيه النحوي لمدى جواز وقوع الفعل الماضي حالا يعكس هنا مرونة فائقة في القياس اللغوي حيث نجح الكوفيون في تجسيد موقفهم بالنقل القرآني بينما تمسك البصريون بصرامة الأصل المعنوي للحال.

- **حذف المبتدأ أو الخبر :**

يحذف المبتدأ أو الخبر جوازا، كما يحذف وجوبا، فالمبتدأ يحذف جوازا في جواب الاستفهام في مثل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [1]، وذلك على قراءة الجمهور برفع النار[2] ،فيكون خبر لمبتدأ محذوف، وقرئ بالنصب على تقدير أعني، وبالجر على البدل من شر، كما يحذف بعد فاء الجواب، وبعد القول وفي افتتاح السور، ويحذف المبتدأ وجوبا إذا خبر بنعت مقطوع إلى الرفع لمدح أو لذم أو ترحم نحو :مررت بإبراهيم الشجاع، أن يخبر عنه بمصدر هو بدل من اللفظ فعله نحو :صبر جميل وسمع وطاعة، أما الخبر فيحذف جوازا إذا علم، أما وجوبا فيحذف عندما يكون المبتدأ صريحا في القسم أو عندما يقع المبتدأ بعد واو بمعنى مع نحو: كل رجل وضيعته، أي مقرونان. **وأعتقد هنا** أن توجيه المبتدأ والخبر بناء على اختلاف قراءة الآية الواحدة يدل على أن القرآن هو المرجع الأسمى للقياس النحوي وتعدد الوجوه الإعرابية.

[1] سورة الحج-الآية 72

[2] مزيد إسماعيل نديم، روفائيل أنيس سرحان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب واللغات، مج28 ، ط1 ، ص.123

المبحث الثاني : القراءات القرآنية والتقعيد النحوي.

- **موقف أبي الأسود الدؤلي في الاحتجاج بالقراءات القرآنية :**

يُمثل أبو الأسود الدؤلي نقطة الالتقاء الأولى بين علوم الشريعة وعلوم اللسان. وفي هذه المرحلة المبكرة، لم يكن " الاحتجاج " مصطلحاً فنياً مستقراً، بل كان ممارسة سليقية تهدف إلى حماية النص المقدس. إن موقف أبي الأسود من القراءات لم يكن موقفاً نقدياً (كما حدث عند بعض المتأخرين)، بل كان موقفاً استمدادياً ؛ أي أنه استمد النحو من القراءة ، ولم يفرض النحو عليها.

- **القرآن الكريم كمعيار أوحد للفصاحة :**

في عصر أبي الأسود، كانت العُجمة قد بدأت تتسرب إلى ألسنة العرب نتيجة الاختلاط بالأعاجم و كان أبو الأسود يرى في القراءات القرآنية "الذروة" التي لا تُضاهى من الفصاحة والاحتجاج عند أبي الأسود يقوم على فكرة أن "القرآن لا يُخطَّأ "، وبالتالي فإن أي وجه إعرابي يظهر في قراءة معتبرة هو بالضرورة " قاعدة نحوية " قائمة بذاتها فعندما بدأ بوضع علامات الإعراب، لم يضعها بناءً على منطق عقلي، بل بناءً على ما سمعه من أفواه القراء المتقنين للسان قريش.[1] ومن جملة الأمثلة التطبيقية على الاحتجاج والتحليل النحوي نورد مجموعة من الأمثلة نعرض فيها موقفه في ذلك :

- الاحتجاج بقراءة الرفع في باب الاستئناف في آية التوبة, بحيث تعتبر هذه الحادثة المثال الأبرز على "الاحتجاج بالمعنى لتقرير الإعراب"في قوله تعالى : ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**

[1] أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: طه الزيني، مطبعة الحلبي، ص 12.

فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فاللحن الذي سمعه **أبو الأسود** كان بجر (ورسولِه)، مما يقتضي عطفه على (المشركين). احتج **أبو الأسود** بالقراءة الصحيحة (ورسولُه) بالرفع. فهنا قرَّر أبو الأسود هنا أن الواو للاستئناف، و(رسولُه) مبتدأ لخبر محوف تقديره "ورسوله بريء أيضاً". هذا الاحتجاج بالقراءة أسس لأولى قواعد "العطف والاستئناف" في النحو العربي، ومنع توهم فساد المعنى [1].

- الاحتجاج بحركات الأواخر (تأصيل نظرية العامل) ,قبل **أبي الأسود،** لم تكن العرب تدرك "العامل" اصطلاحاً، لكن **أبا الأسود** استنبطه من خلال تتبع القراءات مثل قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2], فهنا لاحظ أبو الأسود أن المفعول به إذا تقدم (إياك) ظل منصوباً، وإذا تأخر (نعبدُ اللهَ) ظل منصوباً.
- احتج هنا بثبات القراءة القرآنية في نصب المفاعيل ورفع الفواعل ليضع أولى لبنات "نظرية الإعراب" التي تعتمد على الوظيفة النحوية للكلمة [3] .
- الاحتجاج في باب"إنّ "وأخواتها ,يروى أن ابنة أبي الأسود قالت له: "ما أحسنُ السماءِ؟" (بضم نون أحسن وجر السماء)، فظنها تسأل فأجابها: "نجومها"، فقالت: "إنما أردت التعجب" فهنا استدرك أمر اللحن و عاد أبو الأسود إلى القراءات القرآنية التي وردت فيها صيغ التعجب أو التأكيد، ووجد أن القرآن يفرق بدقة بين "الاستفهام" و"التعجب" و"التوكيد" من خلال الحركات. استدل بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ**

[1] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ص 22-24.

[2] سورة الفاتحة: الآية 5

[3] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ص 45.

اللَّـهَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ﴾(سورة البقرة-الآية19) على أن "إنّ" تدخل لرفع اللبس وتوكيد النسبة، ويجب أن يتبعها الاسم منصوباً [1]

- منهجية " وضع النقط في المصحف " التي قام بها **أبو الأسود الدؤلي** ليس مجرد عملية تزيين، بل كان "تدويناً للاحتجاج" وكان منهجه في ذلك وضع صبغة (اللون الأحمر) للنقط ليميز بين صلب الكلمة وبين حركتها الإعرابية المحتج بها مثل في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾(سورة هود-الآية112) قام بوضع نقطة فوق التاء في (أمرتَ) ليدلل على أنها تاء الفاعل المخاطب، محتجاً بالقراءة الشائعة. هذا الفعل هو الذي رسخ قاعدة أن "الفعل المبني للمجهول يرفع ما بعده" (نائب الفاعل)، وهو ما استنبطه من حركات القراء في كلمات مثل (أُمِرْتَ، قُتِلَ) [2].
- كانت القراءات القرآنية تحوي لغات العرب (تميم، قريش، هذيل) فكان موقفه من "التعدد اللغوي" في القراءات على أنه يميل إلى ما وافق "لغة قريش" التي نزل بها معظم القرآن، ولكنه لم يرفض القراءات الأخرى، بل كان يراها وجوهاً صحيحة يحتج بها في سعة اللغة مثل احتجاجه بقراءة {هذان لساحران} (على قراءة من يلزم المثنى الألف)، حيث رأى فيها وجهاً عربياً قديماً يُحتج به ولا يُرد، وهذا يعكس مرونة مبكرة في قبول القراءات التي تخالف القياس النحوي المتأخر [3].
- يمكن تلخيص موقف **أبي الأسود الدؤلي** في النقاط الآتية:

✓ **الشمولية:** احتج بكل ما ثبتت قرآنيته ولم يضع شروطاً معقدة كالتي وضعها المتأخرون .

---

[4] أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 15.

[1] عبده الراجحي، النحو العربي والقراءات القرآنية، دار النهضة العربية، ص 30-35.

2 ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، وزارة الأوقاف المصرية، ج1، ص 10 (مقدمة المحقق عن بواكر الاحتجاج).

- ✓ **الارتباط الدلالي**: كان يربط الحركة الإعرابية بالمعنى المراد، جاعلاً من القراءة دليلاً على الحكم النحوي.
- ✓ **التأسيس**: حوّل القراءات من "أداء صوتي" إلى "قواعد مكتوبة" من خلال نظام النقط، مما يعتبر أول توثيق رسمي للنحو العربي.

موقف سيبويه في الاحتجاج بالقراءات القرآنية:

كان سيبويه يخضع القراءات للقياس النحوي أحياناً، وذلك حينما يشعر بعدم موافقتها لقياسه، ولكنه لم يخطئ قراءة ولم يعب قارئاً، وكان الغرض عنده من الإتيان بالقراءة هو بيان وجه لها من العربية، وكان يكتفي بالقول هذه لغة ضعيفة أو هي قليلة [1]. قال في توجيه قوله تعالى:﴿**مَا هَذَا بَشَرًا**﴾[2]، إنّ " ما " عاملة عمل (ليس) في لغة أهل الحجاز، إلا أن بني تميم يرفعون الخبر إلا من عرف منهم كيف هي في المصحف.

فسيبويه يختار الرفع، لأنه يشاطر بني تميم رأيهم في عدم إعمال (ما)، ويرى ذلك هو الأقيس؛ كون "ما" حرفاً، وليست فعلاً، فهي لا تشبه (ليس) من ناحية الفعلية، ولا من ناحية الإضمار، يقول: "وأما بنو تميم فيجرونها – يقصد ما – مَجرى أمَا وهل وهو القياس؛ لأنها ليست بفعل، وليست ما كـ ليس، ولا يكون فيها إضمار" حتى ولو أخذ **سيبويه** بالقياس في بيان وجه القراءة، فذلك لم يمنعه من أن يصرح في كتابه أنَّ القراءة سنة، ولا مجال للاجتهاد فيها أو الاختيار من قبل أحد مهما بلغ من العلم مبلغاً، يقول: "فأما قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[3] فإنما جاء على:

[1] الكتاب، سيبويه، علق عليه بديع إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1999، ج1، ص 28.

[2] سورة يوسف–الآية 31

[3] سورة القمر–الآية 49)

زيداً ضربته وهو عربي كثير وقرأ بعضهم قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**﴾[1] (بنصب ثمود) إلا أن القراءة لا تخالف لأنها السنة ، ورأى أن الرفع في "ثمود" أجود.

قال سيبويه "وزعموا أن أبا عمرو قرأ قوله تعالى: ﴿**يا صَالِحُ ائْتِنَا**﴾[2]، (يا صَالِحُ ائْتِنَا) جعل الهمزة ياء ثم لم يقلبها واواً، ولم يقولوا في هذا الحرف الذي ليس منفصلاً، وهذه لغة ضعيفة لأن قياس هذا أن تقول: يا غلام وجل [3] "، **فسيبويه** لا يوجه الضعف للقراءة مباشرة ولكنه يحملها على لغة العرب الموصوفة بالضعف ومع ذلك كله فهي لغة تصح القراءة بها، فالضعف حسبما يراه يقع في اللغة التي قرأ بها قارئ ما، وليس في القراءة ذاتها.وقال **سيبويه** في معرض حديثه عن ضمير الفصل "وقد جعل ناس كثير من العرب [4] "هو" وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني عليه فكأنه يقول أظن زيداً أبوه خير منه، ووجدت عمراً أخوه خير منك فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون في قوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾[5] قرئت: هم الظالمون، فسيبويه اعتبر القراءة أصلاً ثم قاس عليها كلام العرب ليثبت هذا الاستعمال.

وقال **سيبويه** في موضع آخر "وسألت **الخليل** عن قولهم : اضربْ أيّهم أفضل، فقال: القياس النصب... وحدثنا هارون أن الكوفيين [6] يقرؤونها في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ**﴾[7]. (بنصب أيَّهم) وهي لغة جيدة

---

[1] سورة فصلت-الآية17

[2] سورة الأعراف- الآية77

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 358. وأيضا : ج1,ص361وص397

[3] هي قراءة أبي زيد النحوي، ينظر القراءات الشاذة، ابن خالويه، تحقيق محمد عيد السبعاني، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط1، 2008، ص 202.

[5] سورة الزخرف-الآية76

[5] هي قراءة معاذ بن مسلم الهراء، أستاذ الفراء وطلحة بن مصرف، ينظر: القراءات الشاذة، ابن خالويه، ص 133.

[7] سورة مريم -الآية 69

نصبوها كما أجروها حين قالوا: امرُرْ على أيهم أفضل، فأجراها هؤلاء مجرى الذي ، حمل سيبويه هاتين القراءتين على الأقيس في كلام العرب مما نقله عن أساتذته، فأي في الآية اسم موصول حُمل على الذي قال **سيبويه** "واعلم أن بُقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل تقول: يا غلامي أقبل وكذلك إذا وقفوا، وكان **أبو عمرو** يقول في قوله تعالى:ي﴿**يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾[1] أثبت **أبو عمرو** في قراءته الياء في "يا عبادي" وهي في رسم المصحف بلا ياء، فحمل سيبويه هذه القراءة على لغة من لغات العرب.

وقال سيبويه في موضع آخر من كتابه "وقد قرأ ناس [2] هذه الآية – يعني قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[3] ؛ على وجهين "علامَ الغيوب" و "علامُ الغيوب, أي قُرئت بالرفع والنصب ولكن سيبويه لم يحدد أياً من القراء قرأ بالرفع وأيهم قرأ بالنصب[4] ولم يرجح بين القراءتين أو يفضل بينهما واكتفى بما ذكره مستشهداً بهما معاً.واستعان سيبويه بالقراءات النادرة وغير المشهورة لبناء أصوله، كما استعان بالقراءات المتواترة، وقد أخضعها أيضاً لمقاييسه كما يظهر ذلك في المواضع التي تعرض فيها للحديث عن القراءات، فقد أجاز[5] أجاز[5] نصب "يغفر" المعطوفة على جواب الشرط بإضمار أن بعد الفاء ، في قوله تعالى:﴿ **لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ**

[1] سورة الزمر–الآية16

[2] الرفع قراءة الجمهور، أما النصب فهي قراءة شاذة قرأ بها عيسى الثقفي، وابن أبي إسحاق.

[3] سورة سبأ–الآية48

[4] ينظر: القراءات الشاذة، ابن خالويه، ص 182

[5] سيبويه، الكتاب , ج3, ص 90.

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] مستدلاً على ذلك بقراءة بعضهم [2]، وهي في المصحف يغفرُ.

اعتبر سيبويه هذه القراءات مقياساً يقيس عليه، حتى جعل منها في بعض المواضع من كتابه أصلاً يخرج عليها القراءة المشهورة، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[3]يقول: فرفعه من وجهين: على شيء لدي عتيد وعلى أيضا قراءة قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا**﴾[4] حيث قُرِئت: "وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ" (قراءة **ابن مسعود**، ينظر: القراءات الشاذة، ابن خالويه، ص 99.),و معناه أن عتيد رفع على أنه نعت من ما، أو على أن عتيد خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو: هو عتيد [5] ، فجعل سيبويه من القراءة الشاذة أصلاً خرّج عليه القراءة المتواترة.

ونجده في مواضع أخرى يفسرها ويؤولها حتى يخرجها تخريجاً، توافق به كلام العرب، فيبعدها عن الضعف أو الشذوذ أو القلة، ومن ذلك قوله "بلغنا أن أهل المدينة [6] يقصد قراء المدينة – يرفعون هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[7]فكأنه والله أعلم، قال عز وجل لا يكلم الله البشر إلا وحياً أو يرسل رسولاً أي في هذه

---

[1] سورة البقرة-الآية284

[7] قراءة النصب قراءة ابن عباس والأعرج، ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، مطبعة السعادة، مصر، دت، 1328هـ، ج2، ص 360.

[3] سورة ق-الآية23

[4] سورة هود-الآية72

[3] . سيبويه، الكتاب ج2، ص 106.

[4] قرأ نافع الآية برفع "يرسلُ" وقرأها الباقون بالنصب، ينظر: معاني القراءات للأزهري، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت،ط1. 1999، ص 435.

[7] سورة الشورى-الآية52

الحال، وهذا كلامه إياهم كما تقول العرب : تحيتك الضربُ وعتابك السيفُ، وكلامك القتلُ [1] ". فخَرّج سيبويه قراءة الرفع في "يرسل" قياساً على لغة العرب، بعد تفسيره لها.

لقد تبيّن لنا من الأقوال السابقة موقف سيبويه من القراءات بنوعيها، وكذا اهتمامه بها من خلال كثرة استشهاده بالآيات القرآنية، فكان وفياً لسنّية القراءة، ورأى أنَّ القراءات وافقت أصول العربية أو لغات العرب التي يحتج بها واصفاً بعضها بالقوة، فإن بعدت القراءة عن المشهور أو المستعمل، عمد إلى توجيهها توجيهاً يوافق لغة العرب المستعملة، وإن خالفت القراءة القياس أو اللغة الفصحى ردّ ذلك إلى إحدى لغات العرب ذاكراً الناطقين بها، وقد يلجأ في بعض الأحيان إلى التأويل؛ لتوضيح وجه القراءة متى خالفت القراءة رسم المصحف أو القراءة المتواترة، وعلى هذا فقد اتسم موقفه من القراءات بالاعتدال، فهو استدل بالآيات القرآنية تارة، وبنى عليها أصوله تارة أخرى، فلم يخطئ قراءة، ولم يتهم قارئاً باللحن ولم يرجحه على آخر بل أيّد القراءة أو رجحها، ويؤيد موقفه هذا أن القراءات في زمانه لم تكن على ما كانت عليه من تقسيم لأنواعها وضبط لقرائها، فالتقسيم والتبويب للقراءات كان بعد منتصف القرن الثالث للهجرة أي بعد وفاته.

موقف مدرستي البصرة والكوفة من القراءات

لا يعنينا في هذا المقام القصص الكثيرة التي نُسجت حول أول مَنْ أشار بوضع النحو، ولكن يهمنا ثمرة ذلك الجهد المبارك، وهو كتاب سيبويه الذي عكفت عليه طائفة من أهل البصرة وشاركتها طائفة أخرى من بلدة الكوفة، ثم اختطت الطائفة

[6] . الكتاب، سيبويه، ج1، ص 429.

الأخيرة لنفسها منهجاً جديداً يتفق مع البصرة في أشياء، ويخالفها في أشياء أخرى مما قاد إلى نشوء مدرستي البصرة والكوفة.

أجمع المؤرخون بأنَّ البصرة هي التي قام على أكتافها علم النحو، وحاول علماؤها الانتفاع بعلم الحديث, وقد اعتمدت هذه المدرسة على السَّماع من نبعين كبيرين ، وهما النقل عن القُرَّاء للذكر الحكيم، والسَّماع من الأعراب الفصحاء الذين يوثق بلغتهم ، ثُمَّ صَنَّفوا هذه المادة المسموعة من الأعراب إلى فصيح وأفصح ، والفصيح منه ما هو مُطرد شائع كثير، ومنه القليل، وجعلوا المطرد الشائع من الفصيح أصلاً يُقاس عليه ، ومن ضوابطهم تحري سلامة اللغة والسليقة عند العربي، أما الراوي فيشترطون فيه الصِّدق والضبط، ونتج عن ذلك عدم اعتدادهم بالشاهد إذا لم يُعرف قائله[1]، أو رواه مَنْ لم يوثق به. واستبعدوا بعض القبائل بحُجَّة مخالطتهم للأعاجم. ولم تختلف الكوفة كثيراً عن البصرة من حيث المنهج إلا في توسعهم في السَّماع من جميع القبائل العربية، والاحتجاج بالقراءات القرآنية مطلقاً متواترها وشاذها [2] ؛ لأنَّ ذلك مبنيٌّ على منهجهم القائم على التوسع في الرواية والأخذ بمعظم ما ورد في اللغة.[3] والجدير بالذكر أن مدرسة البصرة قللت من شأن الرواية فأهدرت كثيراً من الروايات التي لم تخضع لأصولها، وعَدَّتها من الشواذ التي تحفظ ولا يُقاس عليها، وهذه الصَّرامة في اتباع المنهج قادتهم إلى نقد القُرَّاء وتضعيف قراءاتهم . ونقد القُرَّاء أمر لم يقتصر على البصريين فقط، بل شاركهم الكوفيون أيضاً.

---

[1] في كتاب سيبويه 1050 شاهداً خمسون منها لم يُعرف قائلوها، فاعتذروا بأنَّ سيبويه وثق بروايتها. و أيضا :الأفغاني سعيد، في أصول النحو، (دمشق: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م)، ص 29. وأيضا ص198

[2] حديثي، خديجة، المدارس النحوية، (إربد: دار الأمل، 2002م)، ص 75 وما بعدها.

[3] المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، (أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002م)، ص 81. والحديثي، خديجة، المدارس النحوية، (إربد: دار الأمل، 2002م)، ص 75 وما بعدها.

ذكرت خديجة أنها وقفت على طعن صريح من الكسائي نقله الفراء في كتابه معاني القرآن (2/81). ولكن رغم ذلك المتصفح لكتب التفسير وتوجيه القراءات يرى أنَّ أهل البصرة أكثر طعناً في القراءات من الكوفيين، وقد يكون منشأ ذلك عدم وصول القراءة إليهم، ووقوفهم على تواترها [1] ، أمَّا قلة الطعن من قِبَل الكوفيين فمرجعه إلى أن الكوفة بلد علم القراءات، وعلم الفقه مقارنة بين منهج القُرَّاء والنُّحاة .

اتضح لنا مما سبق أنَّ القُرَّاء وضعوا شروطاً ثلاثة لصحة القراءة، والقراءة عندهم سُنة متبعة، فاختلال أي شرط من هذه الشروط يخرج القراءة من التواتر، أما النحاة، كما ذكر الأفغاني [2] ، فمنهجهم فيه خلل واضطراب إذ عمدوا إلى جمع نتف شعرية ونثرية من هذه القبيلة وتلك، ومن شعر لا يعرف قائله، ويجمعون هذا إلى أقوال معروفة ، فضلاً عن اعتبارهم اللغة العربية بما فيها من لهجات مختلفة لهجة واحدة في محاولة منهم من خلال استقرائهم الناقص إلى وضع قواعد عامة تضبط الكلام العربي . وهيهات لهم لقد اتسع الخرق على الراتق إذ صدموا بقراءات لا تنسجم مع قواعدهم فرموها بالضَّعف، وأقوال لأعراب فصحاء فعَدُّوها من الأغلاط! " واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون".[3] وفيما يلي بعض الأمثلة للطعون التي وُجهت لبعض القراءات من قِبَل بعض علماء مدرستي البصرة والكوفة. ذكرنا فيما سبق أنَّ البصريين كانوا أكثر طعناً بسبب منهجهم القائم على قواعد قعدوها بناءً على استقراء ناقص للغة، ومن ذلك موقفهم من قراءة ابن عامر:﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ**

[4] الحديثي،خديجة, المرجع السابق، ص 77.

[1] الحديثي خديجة, المرجع السابق، ص 31.

[2] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 157.

وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1] حيث قرأ **ابن عامر** وحده بضم الزاي ﴿زُيِّنَ﴾، وبرفع اللام من ﴿قَتْلُ﴾، ونصب الدَّال من ﴿أولادَهُم﴾، وخفض الياء من ﴿شركائهم﴾ وهذه القراءة فيها فصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المصدر[2]. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز الفصل بين المتضايفين؛ لأنهما كالشيء الواحد، قال الزمخشري: "والفصل بينهما بغير الظرف شيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشِّعر، لكان سمجاً مردوداً... ولو قرئ بجرِّ الأولاد والشركاء لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم"[3]. فهو يريد من **ابن عامر** أن يجرَّ الأولاد بدلاً من نصبها. ونعجب من أمر هذا العالم، هل كان لا يدري أنَّ القراءة سُنة متبعة يجب قبولها واتباعها، أم أنها العصبية لمذهب نحوي؟ وهذه القراءة نفسها ارتضاها الكوفيون وفاقاً لمنهجهم القائم على التوسع في الرواية ، وقاسوا عليها جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف، والجار والمجرور، وتدعم قراءة ابن عامر قراءة بعض السلف:

﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾[4]بنصب وعده، وخفض رسله، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول [5]. ونعجب لموقف الفراء الكوفي من هاتين القراءتين إذ قال فيهما:

---

[1] سورة الأنعام– الآية137

[1] عرنوس، جميلة محمد، موقف النحاة مما تفرد به ابن عامر في قراءاته، (الرياض: جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير غير منشورة، 1426هـ)، ص 223 وما بعدها.

[2] الزمخشري، الكشاف، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997م)، ج2، ص 66.

[4] سورة إبراهيم–الآية 47

[4] أبو حيان، البحر المحيط، تح: عادل أحمد وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م)، ج5، ص 427.

"وليس قول من قال.... بشيء" [1] فلمَ هذا العناد والخروج عما اتفقت عليه مدرسته ؟ أكبر الظن هو الهوى، وحظ النفس، فإنكار للقراءات من جهة، وتخطئة للفصحاء من جهة أخرى، فقد ردَّ قول القائل:

..... **فَزَجَجْتُهَا مُتمكناً زَجَّ القلوصِ أبي مَزَادَه** .....

بقوله: باطل، والصواب: زَجَّ القلوصِ أبو مزاده .

وفي هذا دليل واضح على تشدده ورفضه لكل ما لم يجر على قياسه النحوي، ولله در **ابن جني** الذي اعتبر البيت السابق دليلاً على إضافة المصدر إلى فاعله: "وفي هذا البيت عندي دليل على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول؛ ألا تراه ارتكب ههنا الضرورة – مع تمكنه من عدم ارتكابها، لا لشيء غير الرغبة في إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول".[2]

والقراءة لا تتبع أقوال مَنْ قال لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه، بل العربية تتبع القراءة. وقد أقرَّ الفصل المنصفون من النحاة: ابن مالك، والأشموني، والسيوطي، وقال ابن مالك [3] :

وَعُمْدَتِي قِراءةُ ابنِ عامرٍ** وَكَمْ لها مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرِ**

وفي قوله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[4] . قرأ **حمزة** بجرِّ(الأرحامِ)وهذا غير جائز عند رؤساء البصرة ؛ لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض، إلا

[5] الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، (القاهرة: دار السرور، د.ت)، ج2، ص 81.

[1] ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م)، ج2، ص 177.

[2] ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تح: علي محمد وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، ج1، ص 438

[4] سورة النساء–الآية01

بإعادة الخافض، ومن هنا وقفوا موقف المعارضة من هذه القراءة، وهي سبعية لحمزة الإمام الصالح الورع الثقة في الحديث، وضعفها المبرد، بقوله " :لو صليتُ خلف إمام يقرأ بالكسر لحملتُ نعلي ومضيت ."وقال عنها الزمخشري" :والجرُّ على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأنَّ الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد، فكأنا في قولك: (مررتُ به وزيد) و(هذا غلامه وزيد) شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز، ووجب تكرير العامل كقولك :مررت به وبزيد، وهذا غلامه وغلام زيد " [1], أما الكوفيون فقد أجازوه في نحو :مررت بك وزيدٍ، وجرى عندهم مجرى مررت بزيد وعمرو .واستدلوا عليه بالقياس والسماع، أما القياس فعلى عطف الظاهر على الظاهر، وليس مثل عطف المضمر على الظاهر؛ لأنك هنا وإن لم تكرر لزم مجيء الضمير المخفوض غير متصل، وهذا لا يكون إلا في المخفوض، أما السماع فعمدتهم فيه قراءة حمزة ﴿وَالأَرْحَامِ﴾ ومذهب الكوفيين هو الأصوب [2]. وتسندهم الآية: ﴿**وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[3]وقول العرب: ما فيها غيره وفرسه بجر الفرس عطفاً على الضمير في غيره.

ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وأنقل قولين لأبي عمرو، والآخر للفطن الذكي ابن جني؛ لأن فيهما رداً شافياً على مَنْ يُنكر القراءات من النحاة مستنداً على استقراء ناقص، أو قياس فاسد، قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، لو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير". وقال ابن جني: "فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يُسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 492.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص 166.

[3] سورة البقرة-الآية217

"[1]. وقد أنصف القُرَّاء كثير من الباحثين المنصفين أذكر منهم الأستاذ د. الراجحي، إذ قال: "فالنحاة أصحاب تقعيد وتنظيم، وهذه الروايات التي تخرج على قواعدهم كانت تفجأهم فلا يكون منهم إلا تجريحها، والقراء أصحاب أداء، وهم أهل تلقٍ... فهم من هذه الناحية أدق من النحاة في نقلهم للغة"[2]. فهذه شهادة أمينة تصب في خانة القُرَّاء الذين جمع منهجهم بين النقل بالسماع فضلاً عن التلقي والعرض، فهم لا يجتهدون فيما ينقلون ، ولا يسيرون على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية – كما سبق القول بل جل اعتمادهم على الرواية. ولم يكن القراء على جَهْل بالعربية كما رماهم بعض النحاة بذلك ما سبق في موقف سيبويه كان عرضاً مقتضباً للفكر العلمي الذي نشأ فيه سيبويه ، فما سهمه في هذا الجدل المثار حول القراءات؟ سيبويه أو رائحة التفاح كما يدل لقبه هو عمرو بن عثمان بن قنبر، كان وسيم الطلعة ذكي الفؤاد متوقد القريحة محبباً إلى جليسه ، ولتلك الصفات كان الخليل يُجله، ويوقره مع أنه من تلاميذه، فقد روى أبو عمرو المخزومي أنه سَمِعَ الخليل يرحب بسيبويه قائلاً: "مرحباً بزائر لا يُمَل ". وكان سيبويه طموحاً متطلعاً إلى الكمال، فلما أخطأ أمام أستاذه حماد بن سلمة بقوله: (ليس أبو الدرداء)، ظناً أنَّ (أبو) اسم ليس في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليس أحد من أصحابي، إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء). فصححه أستاذه بأن (ليس) هاهنا استثناء، فردَّ سيبويه: " لاجَرَمَ لأطلبنَّ علماً لا تلحني فيه أبداً ". فالنزعة الدينية هي التي قذفت به في بطن البصرة بعد النشأة الأولى في قريته (البيضاء) طالباً التفقه في الدين، فتصحيح أستاذه حماد له بأن (ليس) هنا للاستثناء تم بغلظة أثرت في نفس الفتى الآسيوي المرهف

[4]أبو حيان, المرجع نفسه، ج2، ص 233

[5] الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (الأردن: دار المسيرة، 2008م)، ص 95 و96.

الحساس، فهجر حلقة حماد، وتوجه صوب النحو ممنياً نفسه ببناء مجد وسؤدد، فكان له ما تمناه ، فأخرج كتاباً في النحو وصفه القدماء بأنه قرآن النحو. وفي هذا السَفر تظهر أمانته العلمية فقد أكثر فيه من الإشارات إلى شيوخه نحو: قول الخليل، حدثنا بذلك عيسى ، وهي التي يختار أبو عمرو، فهذا العالم المتدين الأمين ، هل خاض فيما خاض فيه البصريون من بعده من طعن في القراءات ؟

نلاحظ في البدء أن كتاب سيبويه به ما يقدر بأربعمائة آية من القرآن الكريم استشهد بها سيبويه في مواطن مختلفة لإثبات القاعدة النحوية، ولم يقتصر على القراءات المتواترة فقط، بل تناول الشاذ منها أيضاً؛ لأنه كان يدرك أنها أي القراءات تمثل لهجات العرب، لذا كان يحاول تخريج القراءة على إحدى لغات العرب, ففي قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[1]قرأ حفص (سواءً) بالنصب ، وكذلك **الكسائي، وحمزة**، وقرأ الباقون بالرفع [2]. وقد استشهد سيبويه بهذه الآية بعد قوله: واعلم أن ما كان في النكرة رفعاً غير صفة فإنه رفع في المعرفة، وتقول: (مررت بعبد الله خيرٌ منه أبوه). فكذلك هذا وما أشبهه، ومن أجرى هذا على الأول فإنه ينبغي له أن ينصبه في المعرفة فيقول: (مررت بعبد الله خيراً منه أبوه) وهي لغة رديئة [3] .

ويلاحظ أن **سيبويه** هنا يتحدث عن لغة من لغات العرب وصفها بالرداءة بناء على منهجهم الذي قَسَّم لغات العرب إلى فصيح وأفصح، وجيد وغير جيد، فهو لم

[1] سورة الجاثية–الآية 21

[2] أبو حيان، المرجع سابق، ص 47.

[3] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 30.

يهدف إلى الطعن في قراءة النصب كما ظن الأنصاري [1]. والأمر نفسه ينسحب على موقفه من الآية الكريمة: ﴿**نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2]، قرأها **ابن عامر والكسائي** بالنصب ﴿فيكونَ﴾. فقد ارتضى سيبويه الرفع "كأنه قال إنما أمرنا ذاك فيكون. وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر.... و هو ضعيف في الكلام ". فحديث **سيبويه** النصب على قراءة الرفع المتفقة مع القاعدة النحوية، وهي أن الفعل المضارع لا ينصب بعد الفاء إلا إذا كان جواباً لنفي أو لب. أما قوله: (وهو ضعيف في الكلام) يعني النصب فغير موجَّه إلى قراءة النصب إذ إنه لم يتعرض إليها، فمن غير المعقول أن يأتي باحث، ويقول: إن سيبويه يضعف النصب في قراءة ابن عامر بطريق غير مباشر [3].

ويرى البربري أنَّ العبارات والصفات التي توهم منه ترجيحاً لقراءة على أخرى، مثل: (أحسن القراءتين)، و(الرفع أكثر)، و(كان جيداً)، فهي لا تعني المفاضلة بين قراءة وأخرى، أو ترجيح إحداهما، و يرى- أيضاً- أن سيبويه لا يوجه الضعف إلى القراءة مباشرة، إنما يحمل القراءة على إحدى لغات العرب الموصوفة بالضعف أو القلة [4]. وهو يؤيد ما سبق أن أشرنا إليه سابقاً في آية الجاثية. فسيبويه قد قرر بنفسه أن القراءة سنة متبعة لذا لا يمكن أن يظن عاقل أنه نسي ما قاله. ولا أرى عيباً في عدم تعرضه لبعض القراءات نحو قراءة النصب في آية ﴿كن فيكون﴾؛ لأنَّ القراءة كما ذكرت – خديجة الحديثي – لم تكن قد قُسمت في زمانه وحددت. ولم يتضح هذا التقسيم والتبويب إلا بعد منتصف القرن الثالث الهجري حيث كان ابن قتيبة من

[4] الأنصاري، سيبويه والقراءات، ص 18 وما بعدها.

[2] سورة النحل- الآية 40

[3] عرنوس، مرجع سابق، ص 196-197.

[4] البربري، صلاح موسى، موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم، مجلة الأزهر، ج4، السنة 68، سبتمبر 1995م.

أوائل المتكلمين على القراءات. فما أغفله **سيبويه** من قراءات مردُّه إلى سبب بسيط، هو أنَّ هذه القراءات لم تصل إليه. فمن الظلم أن يُحاكم الرجل بقوانين ومناهج لم يعرفها زمنه.

واحترام **سيبويه** للقراءات يتجلى في موقفه من القراءات الشاذة فقد استدل بها لإيمانه بأنها تمثل إحدى لغات العرب. فقال في الآيتين:قوله تعالى:﴿**السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ**﴾[1]،وكذلك قوله تعالى :﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي**﴾[2]بالنصب وهما قراءتان شاذتان "وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة. ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع [3] " ، فقراءة الرفع عنده مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني، والنصب على الاشتغال أي واجلدوا الزانية والزاني كقولك زيداً فأضربه [4]. **فسيبويه** أورد الآيتين، وخرَّجهما أو علل لهما بأن النصب جار على الاشتغال. وفي قراءة الأعرج: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ (سورة سبأ-الآية 10). فرفع (فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: يازيدُ والنضرُ) ويرتضي رأي أستاذه الخليل بأنه هو القياس، وقال **أبو حيان**[5] في النصب : (والطيرَ) أن **سيبويه** قال: (وقال **أبوعمرو** بإضمار فعل تقديره وسخرنا له الطير). فقراءة الرفع الشاذة لم يرفضها، بل أثبت صحتها بنقول عن أستاذه الخليل. وقراءة أبي السمال: ﴿ولات حين مناص﴾ بضم التاء لم يضعفها، بل وصفها بقوله: " وهي قليلة ". فعلى قول **سيبويه:** "حين مناص، اسم لات، والخبر محذوف ". وأحياناً

[1] سورة المائدة-الآية 38

[2] سورة النور-الآية 02

[3] سيبويه، المرجع السابق، ج1، ص 19.

[4] أبو حيان، المرجع السابق , ص 393.

[5] سيبويه، ج2، ص 188، وأبو حيان، ج7، ص 376.

يصف القراءة بالكثرة ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (سورة القمر-الآية 49). فإنما هو على قوله: (زيداً ضربته)، وهو عربي كثير. وقد قرأ بعضهم : ﴿**وَأَمَّا ثَمُودَ**﴾ إلا أن القراءة لا تخالف ؛ لأنها سنة، فهذه القراءة الشاذة ﴿ثمودَ﴾ بالفتح ، وقف منها **سيبويه** موقفاً يُشير إلى مدى احترامه للقراءات متواترها وشاذها.

وقد ذكر الأنصاري أنَّ **سيبويه** طعن في آية ﴿**تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ**﴾ (الأنعام: 154). قال سيبويه: واعلم أن (كفى بنا فضلاً على مَنْ غيرنا) أجود، وفيه ضعف، إلا أن يكون فيه (هو)؛ لأن (هو) من بعض الصلة، وهو نحو: مررت بأيهم أفضلُ، وكما قرأ بعض الناس هذه الآية: ﴿**تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ**﴾. واعلم أنه قبيح أن تقول: (هذا مَنْ منطلقٌ) إذ جعلت المنطلق حشواً أو وصفاً، فإن أطلت الكلام، فقلت: (مَنْ خيرٌ منك) حَسُنَ في الوصف والحشو، وزعم الخليل رحمه الله، أنه سمع من العرب رجلاً يقول: (ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءاً). فالوصف بمنزلة الحشو المحشو؛ لأنه يحسن ما بعده كما أن الحشو المحشو إنما يتم بما بعده. عند البصريين لا يجوز حذف العائد مع قصر الصلة، وجوزوه إذا طالت الصلة نحو قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ**﴾[1]. أي هو في السماء إله . ذكر الأنصاري [2] أن عبارة سيبويه: (أجود، وفيه ضعف) تُعد طعناً في الآية.

وقراءة (أحسنُ) بالرفع قراءة شاذة جاءت على لغة من لغات العرب، فلماذا لا نفهم أنَّ هذه اللغة لغة جيدة مادام أنها عربية والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ كما قال ابن جني [3] أما الوصف بالضعف فإلى اللهجة لا القراءة ، أي هي لهجة ، ولكنها حسب معايير النحاة ضعيفة.ونستطيع أن نقول في الأخير

[1] سورة الزخرف الاية38

[2] الأنصاري، أحمد مكي، سيبويه والقراءات، (القاهرة: دار المعارف، 1972م)، ص 28 وما بعدها.

[3] ابن جني، الخصائص، ج1، ص 400.

أنَّ موقف سيبويه من القرآن الكريم بقراءاته المختلفة كان محموداً، فقد احترم كل القراءات التي وصلت إليه ولا يُعاب إذا ما قرر أن مسألة ما لا وجود لها في العربية، ثم يتضح خلاف ما قال نحو قوله: أماتوا ماضي (يدع). لم يستعملوا مصدره ولا اسم فاعله. وسار النحاة من بعده يرددون هذا القول. ثم اتضح أن هنالك قراءة لعروة بن الزبير: (ما ودعك) وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (لينهين أقوام عن وَدْعِهِم الجُمُعَات). و (اتركوا الترك ما تركوكم ودعوا الحبشة ما ودعوكم) [1]. ففي كل ذلك دليل على وجود (ودع) الذي أنكره سيبويه وكما ذكرنا لا يُعدُّ هذا عيباً ، لأنه أطلق القول بناء على ما لديه من معلومات. والمتأمل في كتاب سيبويه يظهر له جلياً مدى اهتمامه بالقرآن الكريم، وحرصه على إظهاره بأنه جار على سُنن العربية، وقد قيل إنَّ الجرمي كان يفتي الناس في الفقه بناء على كتاب سيبويه [2]. وفي هذا إشارة إلى مدى التفاعل والاختلاط بين الفقه والنحو، وأهم من ذلك ما كان للجرمي أن يفتي الناس في أمر يتعلق بالعبادة من كتاب سيبويه ما لم يكن واثقاً بأنَّ سيبويه أمين ثقة يقرب من أهل النقل والأثر على حدِّ الشلبي [3]، **فالشلبي** كاد أن يصنفه في مدرسة القراء الذين يأخذون بالنقل عن الأئمة، لولا أنه فهم من بعض عباراته أي — سيبويه — أنه يعارض بعض القراءات، وهي تهمة دفعناها عنه في هذا البحث ، ودفعتها طائفة من الباحثين من قبل. ومن خلال عرض الموقفين يتبين لنا أنَّ الاحتجاج بالقراءات عرفته المدرستان البصرية والكوفية إلا أن الأخيرة كانت أكثر توسعاً وفاقاً لمنهجها القائم على التوسع في الرواية ويعدُّ منهج القُرَّاء أكثر انضباطا من منهج النحاة لأنهم

[1] حمودة، عبد الوهاب، القراءات واللهجات، (القاهرة: النهضة المصرية، 1946م)، ص 144 وما بعدها.

[2] شلبي، عبد الفتاح إسماعيل، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو، (جدة: دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989م)، ص 31.

[3] المرجع السابق، ص 166.

اعتمدوا على التلقي المتصل بالسند إلى الرسول ◘ بخلاف النحاة فمنهجهم مضطرب قائم على استقراء ناقص وأقوال مجهولة من أشعار وأقوال.

المبحث الثالث :التوجيه النحوي واختلاف القراءات القرآنية.

مفهوم التوجيه النحوي :

- **التوجيه لغة:**

جاء في تاج العروس: « الوجه مستقل كل شيء » ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، **وجمعه "أوجه"** [2] .وقال في مكان آخر:« **الوجه النوع والقسم، يقال الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه، ووجوه القرآن معانييه** ».

يفهم من هذا التعريف اللغوي أن التوجيه يحمل معنى الظهور ومعنى خروج كل شيء خفي حتى يبدو منه ذلك الشكل للغائب.

ومن معاني الوجه أيضاً نجد: ويقال أيضاً للولد إذا خرجت يداه من الرحم أولاً وجيه، وإذا خرجت رجلاه أولاً: يتن، واسم ذلك الفعل (التوجيه) .

- **التوجيه اصطلاحاً:**

هو علم يبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن وجوهها في العربية، أو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها [3]. ويقول فيه الزركشي: « **أنه فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها** » [4].

---

[1] سورة البقرة–الآية115

[2] الفيروزآبادي، تاج العروس تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م، ج36، (مادة وجه)، ص 535 إلى ص544.

[3] توجيه مشكل القراءات العشر لغة وتفسيراً وإعراباً، عبد العزيز علي الحربي، إشراف محمد سيدي الحبيب جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة المناقشة 1417 هـ، ص: 63.

[4] شرح الهداية، المهدوي، تح: حازم سعيد، مكتبة الرشيدة الرياض، د ط، 1989 م، ص: 19.

ولا بد من الإشارة بأن مصطلح التوجيه له عدة مرادفات مثل: التخريج، التأويل، والاحتجاج، وهذا الأخير نجده أكثر شهرة عند المتقدمين، والذي عرّفه المهدوي في كتابه قائلاً : «علم يقصد منه تبيين وجوه القراءات، والإيضاح عنها، والانتصار لها »[1]. ومن هنا نجد أن كلاً من المصطلحين لها نفس الخدمة في علم القراءات وهي التبيين والتوضيح إلا أن مصطلح الاحتجاج نجده أكثر شيوعاً.

بدايات علم التوجيه ونشأته

إن ارتباط علم القراءات بعلم التوجيه ارتباط وثيق وقديم، ومن شأن هذا الاتصال بين العلميين أن يخلق تزامناً متشاركاً بينهما لأنه لو لم تظهر القراءات القرآنية وتنتشر في جميع الأمصار لما كان لعلم التوجيه ظهور، ومن هنا نستطيع أن نحدد النشأة والتطور لهذا العلم، فقد قسمناها إلى مرحلتين على حسب أقوال أهل الفن وهما:

❶ المرحلة الأولى:

بدأ ظهور هذا العلم على شكل ملاحظات شفهية في عصر الصحابة، فقد كان الرجل يتلو الآية كما حفظها، فإذا كانت صحيحة فلا بأس وإذا كان بها خلل، صوبها له المقرئ أو الحافظ للقرآن وجاء بنظيرها في موضع آخر من القرآن.وتتمثل في آراء بعض الصحابة والتابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قرأ قوله: "تنشزها" بالراء من قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ**

[1] الزركشي،البرهان في علوم القرآن, ج1، ص: 142.

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] واحتج على قراءته بآية أخرى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[2] (**سورة عبس– الآية22**),ونجد **ابن عباس** وجه القراءة الأولى بدليل قراءة أخرى إلا أنه لم يعتمد على التوجيه اللغوي كأداة للاستدلال، ولم يصطلح على اسم العلم بل اكتفى بقياسها أي: الآية نظيرتها.

ثم نلاحظ أنه في بداية القرن الثاني الهجري بدأت ثورة الكتابة والتأليف خاصة في كتب اللغة، وقد كان المصدر الأساسي لمسائلهم القرآن وقراءاته، ثم إنهم شكلوا بعض المسائل والملاحظات في توجيه القراءات لكن لم يكن هناك تحديد لأسماء القراء ولا لكل قراءتهم، حيث كان الغالب فيها هو التوجيه اللغوي [3] .

وفي هذه المرحلة كثرت الكتابة وانتشرت انتشاراً واسعاً خاصة في المجال الديني، وعليه فإن هذه المؤلفات اعتمدت كثيراً في تفسير بعض المسائل الدينية واستنباط مجموعة من الأحكام، ولم تظهر حتى الآن العناية بعلم التوجيه والتأليف له وتخصيصه وربطه بالقراءات. وهذه بعض الكتب التي أخذت حظاً قليلاً من علم التوجيه ولم تعتمد عليه كتصنيف أساسي :

- **كتاب سيبويه:** إذ يعتبر المستند في هذا العلم لمن جاء بعده سواء كانوا قرّاءً أو نحاة [4].

[1] سورة البقرة–الآية259

[2] سورة عبس–الآية22)

[3] ينظر ، خالد بن سعد المطرفي،: توجيه القراءات نشأته ومصادره . بحث مقدم لجامعة القصيم، قسم القرآن وعلومه،ط1.دت. ص: 9.

[4] المهدوي، شرح الهداية .ج1، ص: 24.

- **معاني القرآن للفراء**، ومعاني القرآن للأخفش وغيرها: سميت كتب المعاني وقد ظهرت في مطلع القرن الثالث [1].

- **كتب الإعراب**: اعتنت هذه الكتب بالقراءات فجمعت بين دفتيها توجيهات لغوية ومنها: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، وإعراب القرآن للنحاس.

- **كتب التفسير**: كان لكتب التفسير الحظ الوافر من تناول القراءات وأوجهها، ذلك أنه على كل مفسر معرفة القراءات، وبهذا كانت هذه الكتب مصدراً مهماً للتوجيه، وأول من تكلم في توجيه القراءات من المفسرين هو الطبري في كتابه "جامع البيان" ثم تتابع المفسرون بعد ذلك منهم "الزمخشري" في "الكشاف" وأبو حيان في "البحر المحيط" وغيرهم [2].

❷ المرحلة الثانية:

وهذه المرحلة كان لها الحظ الوافر في كتابه وتأليف أهم المصنفات الخاصة بعلم التوجيه كعلم مستقل بذاته، وقد اعتنوا في مؤلفاتهم على مختلف التوجيهات وأصحاب القراءات وأنواعها، وكانت مزيجاً بين مجموعة من العلوم بداية بعلم النحو، وعلم القراءات وعلم التوجيه، وأهم هذه الكتب نذكر :

- وجوه القراءات لهارون موسى الأعور: قيل أنه كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألف فيها، وبين المتواتر وبحث عن إسناد الشاذ منها [3].

- وجوه القراءات لابن قتيبة: ذكر فيه القراءات وبين وجوهها [4].

---

[5].المهداوي, المرجع السابق، ص 25.

[1] خالد بن سعد المطرفي، توجيه القراءات نشأته ومصادره ص: 9.

[2]ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط1، 2006 م، ج2، ص: 303.

[3]المهدوي، شرح الهداية, ج1، ص: 28.

- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي: وكان لهذا الكتاب اختصارات منها "منتخب الحجة" لمكي بن أبي طالب واختصار الحجة وغيره [1].
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني : وله عدة اختصارات كذلك منها: المنتخب في كتاب المحتسب [2].
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب: وفيه توجيهات القراءات وهو من عشرين جزءاً.

وكانت هذه المرحلة الفيصل الأساسي لبداية ظهور علم التوجيه وانتشاره بشكل واسع بين أقلام العلماء، ولا ننسى الإشارة إلى علم القراءات الذي هو كذلك عُني بدراسة شاملة على جميع مستوياته، بداية من القراء وأهم القراءات الصحيحة، والمتواترة وربطها بالجانب الشرعي والجانب اللغوي وتوجيهها، وهذا لأن علم التوجيه يُعتبر أداة أساسية للكشف عن وجوه القراءات والتمييز بين الصحيح والشاذ منها، ومن هنا كانت الانطلاقة للبحث في علم التوجيه والاهتمام به وجعله كركيزة أساسية لاستخراج القواعد والأحكام النحوية.

أقسام علم توجيه القراءات

لقد اهتمت كتب التوجيه ببيان معاني القراءات والاحتجاج لها من جهة اللغة العربية والمعنى وارتأيت أن أقسم توجيه القراءات هنا باعتبار الأدوات و القواعد التي اعتمد عليها العلماء في توجيههم للقراءات القرآنية المختلفة.ولتوضيح ذلك يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم يعتمد على القواعد اللغوية والنحوية وقسم يعتمد على القواعد التفسيرية.

[4] خالد بن سعد المطرفي، توجيه القراءات نشأته ومصادره ص: 7.

[1] مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1977م، ص: 10.

أولاً: توجيه القراءات استناداً إلى القواعد التفسيرية :

ويقوم على توجيه القراءة بالاعتماد على أدوات التفسير وقواعده من تفسير القراءة بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة وقراءتهم وكذا أسباب النزول والمناسبة ورسم المصحف العثماني وهذه القواعد تدعم التوجيه المعنوي وحتى اللغوي للقراءة وتوضحه وبيان ذلك فيما يلي :

❶ توجيه القراءة استناداً إلى الآيات:

ومثال ذلك ما جاء في توجيه أبي علي الفارسي للقراءات في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾[1].قال **أبو علي**: «وكلهم قرأ "مُنزَلين" خفيف الزاي غير ابن عامر فإنه قرأ "مُنَزَّلين" مشدد الزاي، قال **أبو علي**: حجة **ابن عامر** ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[2] وقوله تعالى: جل اسمه ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[3].وحجة من خفف قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[4] ومن حجة من قرأ "مُنزَلين" أن الإنزال يعم التنزيل وغيره, وقال تعالى أيضا:﴿ الْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

[1] سورة آل عمران–الآية 124
[2] سورة القدر–الآية 04
[3] سورة الأنعام–الآية 111
[4] سورة الأنعام–الآية 08
[5] سورة النحل–الآية 44

❷ توجيه القراءة استناداً إلى الحديث

وقد ورد مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**﴾[1].قال مكي في توجيهه للقراءات في هذه الآية: «قرأ **حمزة والكسائي** بالتوحيد، ووافقهما ابن كثير على التوحيد أيضا في الأعراف والنمل وفاطر والثاني من الروم، وقرأ الباقون بالجمع في السبعة، وتفرد نافع بالجمع في إبراهيم والشورى، وتفرد نافع بالجمع في إبراهيم والشورى وتفرد حمزة بالتوحيد في سورة الحجر وتفرد ابن كثير بالتوحيد في سورة الفرقان، ووجه القراءة بالجمع في "تصريف الرياح" هو إتيانها من كل جانب وذلك معنى يدل على اختلاف هبوبها فهي رياح لا ريح، لأن الريح الواحدة إنما تأتي من جانب واحد فكان لفظ الجمع فيها أولى، لتصريفها من جهات فيكون لفظها مطابقاً لمعناها في الجمع، وأيضا فإن هذه المواضع أكثرها لغير العذاب، وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى ريحاً هبت «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[2]فعلم أن الريح بالتوحيد أكثر ما تقع في العذاب والعقوبات، وليست هذه المواضع في ذلك، وعلم أن الرياح بالجمع تأتي في الرحمة، فوجب من الحديث أن يقرأ بالجمع إذا ليست للعقوبات» [3] ووجَّهَ الإمامُ المكي قراءة الجمع استنادا للحديث وكذلك اختارها لأجل ذلك.

---

[1] سورة البقرة-الآية 164

[1] أخرجه الشافعي في كتاب الأم (بيروت: دار المعرفة، 1410هـ - 1990م) (1/289).

[2] مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: عبد الرحيم الطرهوني (القاهرة: دار الحديث، 1428هـ - 2007م)، 1/322.

❸ توجيه القراءة استناداً إلى قراءات الصحابة وأقوالهم :

ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

قال **ابن زنجلة** في توجيه قراءة "أعلم" «قرأ **حمزة والكسائي** "قال اعلَم" أن الله على كل شيء قدير حزما على الأمر من الله وحجتها قراءة ابن مسعود "قيل اعلَم أن الله على كل شيء قدير" وكان **ابن عباس** يقرؤها أيضا: قال "اعلَم" ويقول أهو خير أم إبراهيم إذ قيل له: ﴿**وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]

وقد اتفق القراء في هذا الموضع على هذه القراءة، واستند ابن زنجلة هنا في تقوية قراءة **حمزة والكسائي** على أنها قراءة لابن مسعود وابن عباس ولا شك في فضلهما وتقدمهما في علم القراءة والإقراء، وهذا لا ينقص من قيمة القراءة الأخرى "قال أعلَمُ" التي قرأ بها باقي القراء .[3]

❹ توجيه القراءة استناداً إلى رسم المصحف:

قال المهدوي في توجيه القراءات في قوله تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾[4] «من وقف على شيء من هذا الجنس بالهاء فإن رد ذلك إلى أصله وإنما انقلبت هاء التأنيث تاء في الإدراج، فإذا وقف وجب أن ترد إلى أصلها، ومن وقف بالتاء فإنه اتبع خط المصحف وذلك أيضا لغة طيء، حكي عن بعضهم

[1] سورة البقرة: 164

[2] سورة البقرة–الآية 260

[1] ابن مجاهد، كتاب السبعة، ص 146.

[4] سورة البقرة–الآية 207

"رأيت طلحت، ومررت بطلحت وحمزت"» .[1]ووقف **الكسائي وحمزة** بالتاء في (مرضات) ووقف باقي السبعة بالهاء موافقة لرسم المصحف العثماني .[2]

❺ توجيه القراءة استناداً إلى أسباب النزول:

ذُكر في توجيه قراءة «أن يُغَلَّ» من قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**﴾[3] (أنَّ **ابن كثير وأبو عمرو وعاصم** قرأوا «أن يَغُلَّ» بفتح الياء وضم العين أي ما كان لنبي أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم، وحجتهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الغنائم في غزوة، فجاء جماعة من المسلمين، فقالوا: «ألا تقسم بيننا غنائمنا؟» فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «لو أن لكم مثل أحد ذهبا ما منعتكم درهما، أتروني أغلكم مغنمكم» فنزلت «ما كان لنبي أن يَغُلَّ» [4].وقرأ باقي القراء «أن يُغَلَّ» بضم الياء وفتح الغين، مبيناً للمفعول .[5]

فسبب نزول الآية قوي وأكد قراءة «أن يَغُلَّ» ذلك أن معناها مطابق لسبب نزول الآية، وهو أن جماعة من المسلمين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم الغنائم بينهم وكأن في طلبهم هذا شك في عدالة النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته، ولذلك رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : «لو أن لكم مثل أحد ذهبا ما منعتكم درهما، أتروني أغلكم مغنمكم»، وفي هذه القراءة نفي لتهمة الغلول في الغنائم عن النبي ◻ أما في قراءة «أن يُغَلَّ» فهي تحمل معنى غير الذي ورد في

[3]أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تح: حازم سعيد حيدر، ط1 (الرياض: مكتبة الرشد، 1995م)، ج1.ص195.

[4]ابن مجاهد، المصدر السابق، ص 139.

[3]**سورة آل عمران**-الآية 161)،

[1]ابن زنجلة، المصدر السابق، ص 179.

[2]ابن مجاهد، المصدر السابق، ص 168.

سبب نزول الآية، وهو نهي الناس عن الغلول في الغنائم أو عن تخوين النبي صلى الله عليه وسلم ونسبة الغلول إليه.

❻ توجيه القراءة استناداً إلى المناسبة:

ورد مثل ذلك أيضا في توجيه أبي علي الفارسي للقراءات في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[1].

ثانيا : توجيه القراءات استناداً إلى القواعد اللغوية:

وهو التوجيه الذي يتخذ من علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها أساساً ومصدراً في توجيه القراءة وفيما يلي نعرض لنماذج تطبيقية توضح ذلك.

❶ التوجيه النحوي للقراءة:

لقد اقتضى اختلاف القراءات من الناحية النحوية إلى توجيهها على هذا الأساس، فاتخذ العلماء من القواعد النحوية المختلفة مصدرا في توجيههم للقراءات إذا أن أغلب القراءات لا تخرج عن تلك الأسس والقواعد والأمثلة على ذلك كثيرة نختار من بينها ما ورد في كتاب الحجة **لابن خالويه** في قوله تعالى: ﴿**لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾[2] حيث قال: «يقرأ بالرفع والنصب [3] ، فالحجة لمن رفع: أنه جعله وصف (القاعدين) والوصف تابع للموصوف والحجة لمن نصب أنه جعل (غير) استثناء بمعنى إلا فأعربها بإعراب الاسم إلاّ مستثنى منصوب

[1] آل عمران: 180

[2] سورة النساء– الآية 95

[2] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة "غير" برفع الراء، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر – "غير" نصبا. ينظر ابن مجاهد، كتاب السبعة، ص 181.

وخفض بما ما بعدها ودليله على ذلك أنها نزلت في ابن أم مكتوم الضرير» .[1] وقد جاء توجيه ابن خالويه مستندا إلى القاعدة النحوية في نصب المستثنى على قراءة نصب (غير) وأن الوصف (النعت) تابع للموصوف في الحركة الإعرابية على قراءة الرفع (غيرُ).

❷ التوجيه الصرفي للقراءة:

ويرجع هذا التوجيه أيضا إلى الاختلاف بين القراءات من الناحية الصرفية، كتصريف الكلمات بين الإفراد والجمع والمذكر والمؤنث، واختلاف صيغها بين الفعل واسم الفاعل ومثال ذلك ما جاء في كتاب الكشف لمكي بن أبي طالب في توجيهه للقراءات في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[2] إذ اختلف القراء في لفظ "فنادته" فقرأ **حمزة والكسائي** "فناداه" على التذكير وقرأ باقي القراء "فنادته" على لفظ التأنيث .[3] حيث يقول مكي في توجيه القراءتين «...وحجة من قرأ بالألف أن ذكر على المعنى، وقد أجمعوا على التذكير في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ**﴾[4] وقد قيل: إنما نادى جبريل وحده ، فالمعنى فناداه الملك، فلا وجه للتأنيث على هذا التفسير ...» .[5] وحجة من قرأ بالتاء أنه أنث لتأنيث الجماعة التي بعدها في قول "الملائكة" كما

---

[3] أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيدي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ - 1999م)، ص 64.

[2] سورة آل عمران-الآية 39

[2] ابن مجاهد، المصدر السابق، ص 157.

[4] سورة يوسف-الآية 30

[4] أبو طالب المكي , الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها , تح : محي الدين رمضان.الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت.ط2 سنة 1981.ج1 ص385

قال **عز وجل** : ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا**﴾[1] ، ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ**﴾[2] وما أشبه ذلك» .[3]

ونلاحظ هنا أن الاختلاف الصرفي بين قراءة "فناداه" و"فنادته" قد أدى إلى اختلاف المعنى وكلا المعنيين مقصودين في الآية فلا تعارض بينهما.

❸ التوجيه الصوتي للقراءة:

ويطلق على الجانب الصوتي في علم القراءة بأحكام التجويد أو الأصول وهي ذلك الاختلاف بين القراءات الذي ينضوي تحت قاعدة من القواعد أو حكم من الأحكام ومن بين مباحثه: الإدغام، الإمالة الهمز وغير ذلك وقد اهتم علماء التوجيه ببيان ذلك وإن لم يكن له أثر في اختلاف معاني القراءات و لكن من دون توسع.

ومثاله ما جاء في توجيه قراءة "تظاهرون" مخففة ومشددة من قوله **تعالى**: ﴿**تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[4] حيث قرأ: **عاصم وحمزة والكسائي** "تظاهرون" وقرأ باقي القراء "تظّاهرون" .[5]

ووجه من خفف، أنَّ الأصل "تتظاهرون" بتاءين، فاستثقل تكرير التاء، فحذف إحدى التاءين استخفافا، ولأنه استثقل الإدغام أما علة من شدد الظاء أنه كره حذف التاء فأدغم التاء الثانية في الظاء، فزال لفظ التكرير وحسن الإدغام لأنك تبدل من التاء حرفا أقوى من التاء وهو الظاء .

---

[1] سورة الحجرات–الآية 14

[2] سورة آل عمران–الآية 4

[7] المهدوي، المصدر السابق، (1/218).

[4] سورة البقرة–الآية 85

[2] ابن مجاهد، المصدر السابق ص 123.

فقراءة "تظاهرون" بتخفيف الظاء و "تظَّاهرون" بالتشديد تمثل ظاهرة الإدغام التي هي من الظواهر الصوتية التي اهتم العلماء بتوجيه القراءات من خلالها ولم يؤثر ذلك في اختلاف معاني القراءات.

❹ التوجيه البلاغي للقراءة:

ويقوم هذا النوع من التوجيه على توجيه القراءات من خلال الملمح البلاغي للقراءات فقد جاءت الكثير من القراءات تعبر عن الأساليب البلاغية المختلفة عند العرب، كأسلوب الالتفات، وأسلوب المبالغة والتقديم والتأخير و غيرها. ومن بين قال **ابن زنجلة** في توجيهه للقراءات في هذه الآية (**قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر** (**شعبة**) «إن الله بالناس لَرَؤُفٌ» على وزن "فَعُلٌ" وحجتهم أنَّ هذا أبلغ في المدح، كما تقول «رجلٌ حَذُرٌ ويَقِظٌ» للمبالغة..) [1]. فبعض الصيغ في اللغة العربية تكون أبلغ من الأخرى ولذلك نبه بعض العلماء على ذلك من خلال توجيه القراءات القرآنية وكلها كلام الله عز وجل.

❺ التوجيه الفقهي:

هو اتجاه يستعين بالقراءات على فقه الأحكام واستنباطها، كما يتوسل بالتغاير القرائي إلى القول بالتخيير بين حكمين أو الجمع بينهما[2]. «وقد كان أئمة الفقهاء يهتمون بالقراءات اهتماماً عظيماً وذلك لكونهم يبحثون عن وجوهها للاستدلال بها على الأحكام الشرعية، وقد جمع بعضهم علمي الفقه والقراءات وأتقن كلا العلمين، وقد شهد الإمام الشافعي للإمام مالك بمعرفته القراءة إذ يقول عن قراءة نافع: قراءة

[1] ابن زنجلة، المصدر السابق، ص 116

[2] أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية, ص: 29.

نافع وحسبك برجل قرأ عليه مالك [1] وقد ارتبط الفقه بالقراءات ارتباطاً وثيقاً وهذا من خلال التوجيهات الفقهية التي ساعدت الكثير من الفقهاء في حل بعض المسائل الشرعية والأحكام الفقهية، كما أن التوجيه الفقهي يفتح المجال أحياناً للاختيار بين مسألتين شرعيتين لكي يُسهل على الفقيه التعامل مع استنباط الحجج والبراهين فيما يتعلق بالدين ولهذا نجد التوجيه الفقهي يُعطي مسائل خلافية باختلاف أوجه القراءة في الآية، فيُخرج هذه الوجوه ويربطها بدلالاتها ومعانيها وبهذا يكون استعمال وجه القراءة بما يناسب حكمها الشرعي .

أركان التوجيه النحوي للقراءات القرآنية

يُعدّ التوجيه النحوي أدق أنواع التوجيهات اللغوية؛ لأنه لا يكتفي بوصف الظاهرة، بل يسعى لربط حركة الإعراب بالمعنى الوظيفي داخل التركيب [2] وقد اعتمد علماء مدرسة الكوفة على ترسانة من الأدوات المنهجية جعلت من قراءات القرآن أصلاً يُقاس عليه، وهذه الأركان هي :

◄ أولاً: السماع (سلطة الرواية والنص)

يُمثل السماع الركيزة الأولى، وهو تقديم ما نُقل بالرواية الصحيحة عن أئمة القراء على ما تقتضيه القواعد العقلية النحوية. فالسماع عند الموجهين الكوفيين هو " سنة متبعة " لا يجوز ردها[3].

[3] نبيل ابن محمد آل إسماعيل، علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية , مكتبة التوبة، الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 2000 م، ص: 396.

[1] أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات، ص 29.

[2] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 15.

أ الاحتجاج بالقرآن للقرآن :

استخدم الموجهون السماع القرآني لتبرير قراءات أخرى، وهو ما فعله ابن عباس (رضي الله عنهما) حين قرأ ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالراء، واحتج بسماع قرآني آخر في قوله تعالى: ﴿أَنشَرَهُ﴾ (عبس، 22)، ليثبت أن المادة اللغوية مسموعة وموجودة في الذكر الحكيم .[1]

هنا ما نلاحظه هو أن الموجهين النحويين لم يتعاملوا مع القراءات كظواهر معزولة بل اعتمدوا منهجا يقوم على تفسير القرآن بالقرآن لغويا.

ب إقرار اللغات المهجورة :

من خلال السماع، وجّه الكوفيون قراءة **قوله تعالى**: ﴿**إِنْ هَاذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾[2] بالألف في "هاذان" رغم دخول "إنّ" عليها، معللين ذلك بسماع لغة "بني الحارث بن كعب" الذين يلزمون المثنى الألف دائماً، فجعلوا السماع حجة على القاعدة البصرية التي توجب الياء .[3]

ت السماع المتواتر والشاذ:

لم يكتفِ الكوفيون بالمتواتر، بل وجّهوا القراءات الشاذة (الآحاد) بوصفها شواهد لغوية، كما في قراءة ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ بالجر، حيث انتصروا لقراءة حمزة بالسماع عن العرب الذين يعطفون على الضمير المجرور[4] .

[3] خالد المطرفي، توجيه القراءات نشأته ومصادره، ص 9.

[2] سورة طه-الآية 63

[2] الأنباري، الإنصاف، ص 45.

[3] المهدوي، شرح الهداية، ج1، ص 19.

أرى في هذا المسلك الكوفي نضجا لغويا مبكرا فنلاحظ هنا أن الكوفيون تعاملوا مع القراءات الشاذة لا كخطأ أو شذوذ ديني بل كمادة لغوية حية تمثل لهجات العرب الفصحى.

- **ثانياً : القياس (المناظرة مع سنن العرب):**

القياس هو إيجاد "النظير" اللغوي للقراءة في كلام العرب (شعر ونثر). والهدف منه هو إثبات أن الوجه القرائي ليس غريباً عن طبيعة اللسان العربي .[1]

أجد أن مفهوم القياس عند الكوفيين لم يكن تضييق الواسع أو إلزام النص بقالب ثابت بل أداة لإثبات أن الوجه القرآني ليس غريبا عن طبيعة اللسان العربي.

1. القياس على الشاهد الشعري :

في قوله تعالى: ﴿**قَتْلُ أَوْلادَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ**﴾[2] ، حيث فُصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وجّه الكوفيون هذا الوجه بالقياس على قول الشاعر العربي:"زججتُ بمزجةٍ زجَّ القلوصِ أبي مزادة"، فالقياس هنا أثبت أن هذا التركيب – وإن قلّ– هو عربي فصيح .[3]

هذا الموقف يبرهن على عبقرية الموجه الكوفي,حتى وإن قلّ هذا التركيب المعقد فهو عربي فصيح وهذا يدل على أن اللغة اتسعت لأساليب تعبيرية بالغة المرونة.

[4]تمام حسان، الأصول، ص 97.

[2]سورة الأنعام–الآية 137

[2]ابن الأنباري، الإنصاف، ص 340.

2. القياس على اللهجات العربية :

وجّه النحاة قوله تعالى: ﴿**مَا هَذَا بَشَراً**﴾[1] بنصب "بشراً" قياساً على لغة أهل الحجاز (إعمال ما عمل ليس)، بينما وجّهوا قراءة الرفع "بشرٌ" قياساً على لغة بني تميم الذين يهملونها [2].

ما أراه هنا يجعلني أنظر إلى النحو الكوفي كمرآة التنوع القبلي الفصيح حيث تحترم كل لهجة عربية.

3. القياس الصرفي وأثره النحوي:

وجّه الموجهون قراءة ﴿يَطْهُرْنَ﴾ و ﴿**يَطَّهَّرْنَ**﴾[3] **بالقياس** على أوزان الفعل (فَعَلَ وتَفَعَّلَ)، حيث يُقاس التشديد على المبالغة والطلب، وهو ما يغير الوظيفة النحوية والدلالية للكلمة [4].

هذا الجانب يستهويني لأنه يربط بين الصناعة الصرفية والدلالة الشرعية واللغوية فالتشديد يحمل معنى المبالغة والطلب والكلفة وهذا ما يؤكد أن القياس كان لخدمة وتعميق الفهم التفسيري للآية.

ثالثاً: ركن التعليل (الفلسفة النحوية والاحتجاج).

التعليل هو "البحث عن العلة" أو السبب الكامن وراء اختيار حركة إعرابية دون غيرها، ويُسمى عند المتقدمين بالاحتجاج [5] .

---

[1] سورة يوسف–الآية 31

[4] ابن خالويه، إعراب القراءات السبع، ص 110.

[3] سورة البقرة–الآية 222

[2] مكي بن أبي طالب، الكشف، ج1، ص 120.

[3] الزركشي، البرهان، ج1، ص 142.

هنا يبدو لي أن الكوفيين برزوا في توظيف التعليل النحوي كأداة فلسفية مرنة تفسر أسرار الحركات الإعرابية .

أ – تعليل الحركات الإعرابية :

في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[1]

- **قراءة الجر**: عللها الكوفيون بـ "علة الجوار"، أي أن الكلمة جُرّت لمجاورتها للمجرور (برؤوسكم) وليس لأنها ممسوحة [2] .
- **قراءة النصب**: عللوها بالعطف على "وجوهكم" المغسولة، وهذا التعليل يحل إشكالاً فقهياً ولغوياً كبيراً [3].

ب تعليل البناء والإعراب:

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ**﴾[4]. قرئ "ربُّ" بالرفع و"ربِّ" بالجر.

علل الكوفيون قراءة الجر بحذف حرف النداء وإبقاء أثر المضاف إليه (ياء المتكلم المحذوفة) , و عللوا قراءة الرفع بجعلها منادى مبنياً على الضم في محل نصب، أو مبتدأ حذف خبره .[5]

هذا التوجيه المذكور في المتن ليس مجرد تغيير في حركة الحرف الأخير من كلمة (رب) بل هو إعادة تشكيل للمشهد البلاغي للآية.

---

[1] سورة المائدة–الآية 6

[5] المهدوي، شرح الهداية، ص 32.

[1] أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي، ص 30.

[4] **سورة** الأنبياء-الآية 112

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص 19.

ت التعليل بالمعنى (التقدير والنصب على الخلاف) :

في قوله تعالى: ﴿لِيُجْزَى قَوْماً﴾ بنصب "قوماً" مع بناء الفعل للمجهول. علل الكوفيون ذلك بتقدير فعل محذوف أو بما يسمونه "النصب على الخلاف"، وهي علة كوفية خالصة لتبرير النصب في مواضع لا يدركها القياس البصري [1].

- **أثر تكامل الأركان في التوجيه الفقهي والدلالي :**

لا يعمل السماع والقياس والتعليل في معزل عن بعضها، بل تتضافر لتنتج "التوجيه الفقهي".

مثال: قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2]. قرئ "لمستم" و "لامستم". و التوجيه النحوي والصرفي (التعليل) هنا يفرق بين "اللمس" باليد و "الملامسة" (الجماع)، وكل وجه مدعوم بـ سماع لغوي و قياس على أوزان فاعَل وفَعَل، مما يؤدي لاختلاف الحكم الفقهي .[3]

إن هذه الأركان (السماع، القياس، التعليل) هي التي حولت علم القراءات من مجرد رواية ماهية إلى صرح لغوي عظيم. وقد كان لمدرسة الكوفة الفضل في "توسيع" هذه الأركان لتشمل كل وجوه القراءات، حمايةً للنص القرآني من التخطئة، وإثراءً للمكتبة النحوية بظواهر لغوية لم تكن لتعرف لولا هذا التوجيه الرصين .[4]

يبدو لنا أن التوجيه النحوي أداة تشريعية مباشرة ترسم حدود الحكم الفقهي وهذا ما يجعله شريكا في استنباط وتحديد المقاصد التشريعية.

---

[4] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص 15.

[2] سورة النساء، 43

[2] نبيل آل إسماعيل، علم القراءات، ص 396.

[3] خالد المطرفي، توجيه القراءات .ص 10.

❖ **اختلاف القراءات وتحقيق المعنى :**

يُعَدّ الإعراب من الخصائص الجوهرية التي امتازت بها اللغة العربية، إذ لا يقتصر دوره على بيان العلاقات النحوية بين مكوّنات الجملة، بل يتجاوز ذلك إلى الإسهام الفعّال في توجيه المعنى وتحديد المقاصد الدلالية للكلام. فاختلاف الحركة الإعرابية قد يفضي إلى اختلاف المعنى، أو إلى تنويعه وتوسيع دلالته، الأمر الذي جعل الإعراب أداةً أساسية لفهم النصوص العربية، ولا سيما النص القرآني الذي نزل بلسان عربي مبين .

وقد تنبّه النحاة والبلاغيون منذ وقت مبكر إلى هذه العلاقة الوثيقة بين الإعراب والمعنى، فقرروا أن الإعراب «فرع المعنى»، وأن تغيّر الإعراب لا يكون عبثًا، بل تحكمه دواعٍ دلالية وسياقية. ومن ثمّ أصبح الإعراب وسيلة كاشفة عن المقاصد، وعن وجوه متعددة للفهم، لا سيما في التراكيب التي تحتمل أكثر من توجيه نحوي، فينتج عن ذلك تعدد دلالي مشروع تؤيده قوانين العربية.

ويبرز هذا التلازم بين الإعراب والمعنى بجلاء في القراءات القرآنية، إذ تمثل القراءات مظهرًا من مظاهر التنوع اللغوي المأثور عن العرب، وهي تنوعات منضبطة لا تخرج عن سنن العربية، ولا تمسّ وحدة المعنى الكلي للقرآن، وإن كانت تُكسب النص ثراءً دلاليًا وبلاغيًا. فكثيراً ما يؤدي اختلاف الإعراب باختلاف القراءة إلى تنويع المعنى، أو إبراز جانب دلالي دون آخر، مما يعمّق الفهم ويكشف عن سعة البيان القرآني.

وعليه، فإن دراسة العلاقة بين الإعراب والمعنى في ضوء القراءات القرآنية تُعدّ مدخلًا مهمًا لفهم أسرار النص القرآني، وتُبرز الدور المركزي للإعراب في توجيه الدلالة، كما تؤكد أن تعدد القراءات ليس اختلاف تضاد، بل اختلاف تنوع

وتكامل، يخدم المعنى ويثريه ضمن إطار لغوي وبياني محكم.وقد ورد هذا التغاير الإعرابي في القراءات القرآنية بصورة تبين وتكشف العلاقات والمظاهر بين المعاني والكلمات .

✓ **الاختلافات الإعرابية في الأسماء والأفعال**

01 التغاير الإعرابي في الأسماء :

التغاير الإعرابي في الأسماء هو الترخص في حركة الإعراب، فتغير العلامة الإعرابية يدل على أن العامل قد تغير، خصوصاً الظاهر، وهذه التبدلات في العلامة الإعرابية تكون على أوجه مختلفة: كرفع المنصوب أو نصب المجرور إذا كان اسماً، وهلمّ جرا. ونبدأ بقوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾[1]،فقد قرئت (غشاوةٌ) بالرفع والنصب. فالرفع فيها على الابتدائية والنصب على المفعولية، ووقع هذا التغاير فيما يرى أبو حيان الأندلسي (ت 754هـ) «ليشمل الكلام الإسنادين إسناد الجملة الفعلية وإسناد الجملة الابتدائية، فيكون ذلك أكد: لأن الفعلية تدل على التجدد والحدوث، والاسمية تدل على الثبوت، وكان تقديم الفعلية أولى؛ لأن فيها أن ذلك قد وقع وفرغ منه»[2].وللقائل أن يقول أن الختم والغشاوة أمران قد وقعا وفرغ منهما، لذلك قد يقدح في ما ذهب إليه أبو حيان. خاصة وأن بعض الموجهين عمدوا إلى إيثار الاسمية لأنها أليق بسياق الآية [3].

وما نأنس إليه هو ما ذهب إليه أبو الشهاب حين رأى أن « وجه العدول عن الفعلية إلى الاسمية وترك التناسب المطلوب. أنه قصد فيه غشاوة البصر ثابتة جبلية فيهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**

[1] سورة البقرة-الآية07

[2] أبو حيان , التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، ج1، ص 49.

[3] العمادي أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج1، ص 67- 68.

لَآيَـاتٍ لِّأُولِـي الْأَلْبَـابِ﴾[1] فمـن لا لـب لـه لا ينظـر نظـر استبصـار في الأنفـس والآفـاق بخـلاف عـدم التصـديق وعـدم الإصـغاء للنـذر فإنـه متجـدد فـيهم قـديماً وحـديثاً، فـدل الـنظم علـى أنهـم كمـا لم يمتثلـوا أوامـر الرسـول، لم يجـروا علـى مقتضـى العقـول لخبـث طينـتهم ، وهـذا هـو السـر في التعبـير بالغشـاوة الخلقيـة في العـين وهـذا مـن بـدائع التنزيـل الـتي ينبغـي العـض عليهـا بنواجـذ التعويـل» [2]الـذي قـرئ بنصـب الـبر، ورفعـه. نسـتطيع أن نفهـم القـراءتين مـن الجهـة البلاغيـة إذا نظرنـا في سـبب النـزول، فقـد قـال قتـادة والربيـع ومقاتـل وعـوف الأعـرابي: إنهـا نزلـت في اليهـود حينمـا اعترضـوا علـى المسـلمين يـوم أن حُولـت القبلـة. وقـال ابـن عبـاس وعطـاء والضـحاك وجماعـة: إنهـا نزلـت في المـؤمنين؛ فقـد سـأل النـبي صـلى الله عليـه وسـلم رجـل عـن الـبر فنزلـت [3].ولا ريـب أن السـبب الأول يتفـق اتفاقـاً تامـاً ويتسـق اتسـاقاً كـاملاً مـع قـراءة النصـب؛ لأن نظـم الآيـة علـى هـذا يكـون هكـذا: ليسـت تـوليتكم وجـوهكم قبـل المشـرق والمغـرب الـبر، فـ (أن) والفعـل المـؤول بمصـدر هـو اسـم لـيس. أمـا السـبب الآخـر فهـو منسـجم مـع القـراءة الثانيـة وهـو أن يكـون الـبر مبتـدأ، والمعـنى: لـيس الـبر تـوليتكم وجـوهكم قبـل المشـرق والمغـرب، وهـذا يتفق مع السؤال عن البر.

ولكـي نقـرب هـذا المعـنى يجمـل أن نتصـور الفـرق بـين قولنـا: أخـو زيـد أحمـد، وقولنـا: أحمـد أخـو زيـد. فـأخو زيـد في الجملـة الأولى هـو المبتـدأ، وأحمـد هـو المبتـدأ في الجملـة الثانيـة. وبـين الجملتـين فـرق شاسـع؛ لأن المبتـدأ لا بـد أن يكـون معروفـاً للمخاطـب، ففـي الجملـة الأولى يعـرف المخاطـب أخـا زيـد، ولكنـه لا يعـرف أنـه أحمـد، وفي الجملـة الثانيـة يعـرف المخاطـب أحمـد، ولكنـه لا يعـرف أنـه أخـو زيـد. فتوليـة المشـرق والمغـرب

[1] سورة آل عمران-الآية190

[1] البيضاوي، حاشية الشهاب . ج1، ص 295.

[2] أبو حيان . التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، ج2، ص 2.

كانت هي الأساس عند أولئك الذين أثاروا ضجة على المسلمين يوم أن تحولت القبلة، فكانت هذه التولية عندهم هي الجوهر والمرتكز، فناسب أن تكون مبتدأ، فجعلت اسم ليس. أما في السبب الثاني فالبر هو الركيزة وهو المسؤول عنه فناسب أن يكون هو المبتدأ [1]. وهكذا أعطت كل من القراءتين معنى بيانياً منسجماً مع ما قيل في الآية من أسباب النزول.

أما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾[2]، فقرئ بنصب الأرحام، وجره. وقراءة الجر قراءة صحيحة لا يجوز ردها من أجل قاعدة قعدها بعض النحويين. لأن امتناع العطف على الضمير المجرور مذهب البصريين ولسنا متعبدين بإتباعهم. والذي يهمنا في هذا الموضع بلاغة الوجهين وجه النصب ووجه الجر، وإذا كان ابن عطية قد رد قراءة الجر من المعنى لوجهين فإننا ننطلق من هذين الوجهين للوصول إلى بلاغة وجه النصب ووجه الجر، والوصول إلى هذه البلاغة مرهون بالرد على ادعائه. قال ابن عطية: (ويرد عندي هذه القراءة –يعني قراءة الجر– من المعنى وجهان: أحدهما أن ذكر الأرحام مما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله تعالى...، وهذا مما يغض من الفصاحة...، والثاني أن في ذكرها على ذلك تقرير التساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك..). أما ردنا على ادعائه فكالآتي :

[1] عباس فضل حسن: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، ص 65.

[2] سورة النساء– الآية01

- **أما الوجه الأول**

ذكر الأرحام لا معنى له في الحثّ على تقوى الله تعالى – فساقط من القول لأن التقوى إن أريد بها: تقوى خاصة – وهي التي في حقوق العباد التي من جملتها صلة الرحم – فالتساؤل بالأرحام مما يقتضيه بلا ريب، وإن أريد الأعم فلدخوله فيها.

- **وأما الوجه الثاني:**

في ذكرها تقرير التساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث يرد ذلك للنهي عن الحلف بغير الله تعالى – ، فنقول في جوابه: لا نسلّم أن الحلف بغير الله تعالى مطلقاً منهي عنه، بل المنهي عنه ما كان مع اعتقاد وجوب البر، وأما الحلف على سبيل التأكيد مثلاً فمما لا بأس به، ففي الخبر: (أفلح وأبيه إن صدق)، وقد ذكر بعضهم أن قول الشخص الآخر: أسألك بالرحم أن تفعل كذا ليس الغرض منه سوى الاستعطاف. وليس هو كقول القائل: والرحم لأفعلن كذا، ولقد فعلت كذا. فلا يكون متعلق النهي في شيء. ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن السؤال بالرحم ليس قسماً واستشهد على ذلك بشواهد كثيرة.

فقراءة **حمزة** – إذن – مستقيمة من حيث اللغة ومن حيث المعنى، قراءة النصب تحث على صلة الأرحام وتحذر من قطعها؛ إذ أكثر اللغويين على أن التقدير: واتقوا الله، واتقوا الأرحام. وليس معنى اتقائها إلا صلتها وعدم قطعها والإحسان إليها,وقراءة الجر فيها رفع من شأن الرحم وتذكير لهم بصنيعهم إذ كانوا في عظائم أمورهم يتساءلون بالأرحام. «**وقد ثبت عن علي كرم الله وجهه أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق جعفر أعطاه. وليس هذا من باب الأقسام، فإن الأقسام بغير جعفر أعظم، بل من باب حق الرحم؛ لأن حق الله إنما وجب**

بسبب جعفر، وجعفر حقه على علي»[1]. كما ورد التغاير الإعرابي في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[2]، فقد قرئ بنصب (وَأَرْجُلَكُمْ) وجرها,فظاهر قراءة الفتح العطف على (الوجوه) دلالة على غسل الأرجل في الوضوء، ويؤيد ذلك السنة الشائعة وعمل الصحابة، وإجماع الفقهاء [3]. أما ظاهر قراءة الجر فيقتضي عطفها على الرؤوس، ويكون حكم الأرجل بناء على هذا الظاهر المسح؛ ولذلك اختلف الفقهاء في معناه واجتهدوا بكل الطرائق اللغوية والبلاغية في رده إلى معنى القراءة الأخرى، بالعطف على الجوار تارة، وبالعطف على المعنى تارة أخرى [4]. لكن الزمخشري حاول أن يلتمس لذلك العطف علة بلاغية فقال: "فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها"[5].

والملاحظ أن الزمخشري لم يوفق في هذا الموضع إلى اللمسة البلاغية المناسبة رغم وجاهة ما ذهب إليه، لأنه مخالف لظاهر النص على تلك القراءة، لذلك نرى أن التغاير القرائي في هذا الموضع يرشد إلى الجمع بين حكمين شرعيين وهذا ما ارتأه الإمام الطبري (ت 310هـ) حيث يقول: "الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في

---

[1] الآلوسي , روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1983م، ج4، ص 184، 185.

[2] سورة المائدة-الآية 6

[3] محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار: مكتبة القاهرة، ج4، ص 332.

[1] ابن زنجلة: حجة القراءات، ص 221.

[2] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص 611.

الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم، وإذا فعل ذلك بهما المتوضأ كان مستحقاً اسم ماسح غاسل؛ لأن غسلهما إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء، ومسحهما إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما، فإن فعلهما فاعل فهو غاسل ماسح؛ ولذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فنصبها بعضهم توجيهاً منه إلى أن الفرض فيهما الغسل، وإنكاراً منه المسح مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم مسحهما بالماء، وخفضها بعضهم توجيهاً منه ذلك إلى أن الغرض فيهما المسح؛ ولما قلنا في تأويل ذلك أنه معنى به عموم مسح الرجلين بالماء كره من كره للمتوضئ الاجتزاء بإدخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقام اليد مع غسلهما بالماء.[1]..". وارتأه أيضاً النحاس (ت 338هـ) حيث قال: "المسح والغسل واجبان جميعاً، والمسح واجب على

قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين [2] ". فاللمسة البلاغية في نظري هي إرشاد المتوضأ إلى ضرورة العناية بغسل الأرجل أو مسحها إلى حد تدليكها، حتى لا يبقى من درنها شيء لأن هذا العضو أكثر الأعضاء عرضة للاتساخ. كما أن قيام قراءة كلمة واحدة بوجه من الوجوه مقام آية كاملة، هو قمة الإيجاز. المفضي إلى الإعجاز.

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص 83.

[2] النحاس: إعراب القرآن، ج2، ص 9.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾[1]، فقد قرئ بنصب (الريح) ورفعها. ويرى مكي بن أبي طالب أن وجه الرفع حسن، رغم أنه اختار وجه النصب، وحجته في ذلك أن ﴿الريح﴾ لما سخرت له صارت وكأنها في قبضته؛ إذ عن أمره تسير، فأخبر عنها أنها في ملكه؛ إذ هو مالك أمرها في سيرها به، أما النصب فعلى إضمار وسخرنا لسليمان الريح؛ لأنها سخرت له، وليس بمالكها على الحقيقة إنما مَلَّك تسخيرها بأمر الله، ويقوي النصب إجماعهم على النصب في ذلك في قوله سبحانه تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً**﴾[2] فهذا يدل على تسخيرها له في حال عصوفها.[3] أما النحاس فيرى أن المعنى فيهما متقارب، رغم أنه يسلم في البداية بوجود فرق لطيف بين الوجهين، يقول: «فإن قال قائل: إذا قلت: أعطيت زيداً إليه " محمد سعد أحمد " من «أن الحركة الإعرابية وما يترتب على معانيها الوظيفية الأول من معانٍ بلاغية ثوانٍ، أمر مرجعه إلى السياق وحده مع اعتبار قرائن الأحوال الأخرى [4] ».

ونجد أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**﴾ [5]فقد قرئ بحذف التنوين وإضافة (بزينة) إلى (الكواكب) بمعنى: زينا السماء بضوء الكواكب وحسنها. وقرئ بتنوين (زينةٍ) وخفض (الكواكبِ) أي الكواكب بدلاً من الزينة؛ لأنها هي، فالمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب. وقرأت كذلك بتنوين (زينةٍ) ونصب (الكواكبَ)، معناها: زينا السماء الدنيا بأن زينا الكواكب بأن ألقيناها في ديناراً

[1] سورة سبأ–الآية

[2] سورة الأنبياء–الآية 81

[5] مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج2، ص 203، 202.

[1] أحمد محمد سعد: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص 107.

[5] سورة الصافات–الآية 6

ولعمرو درهم، فرفعته لم يكن فيه كمعنى الأول، وجاز أن يكون لم تعطه الدرهم (؟) قيل: الأمر كذلك، ولكن الآية على خلاف هذا من جهة المعنى؛ لأنه قد علم أنه لم يسخرها أحد غير الله جل وعلا »[1] .

أما في قوله **تعالى**: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ [2]، والذي قرأت فيه كلمة (نزاعة) بالنصب والرفع، فقد حمل وجه الرفع على الوصفية أو الخبرية، وذلك لدلالة السياق والمقام على ثبات المعنى فيما أسند إليه في موضعه، فالنار المتلظية لا تكون إلا مغيرة للأبشار لواحة للبشر. وحمل وجه النصب فيها على الحالية، وقد منع المبرد (ت 285هـ) فيما نقل عنه، حملها على هذا المعنى؛ لأن الحال فضلاً عن كونها فضلة، تأتي فيما يكون أو لا يكون [3]. جَعْلُهم هذا يعدلون عن معنى الحال المنتقلة إلى الحال اللازمة المؤكدة [4] أو إلى النصب على الاختصاص للتهويل أو إلى غير ذلك من وجوه تمليها الصنعة النحوية، ويتحقق معها الثبات والدوام الذي يستفاد من سياق الآية، وليس من اختلاف وجهي الرفع والنصب.

02 التغاير الإعرابي في الأفعال :

التغاير الإعرابي في الأفعال هو الترخص في حركة الإعراب، فتغير العلامة الإعرابية يدل على أن العامل قد تغير، خصوصاً الظاهر، وهذه التبدلات في العلامة الإعرابية تكون على أوجه مختلفة: كنصب المرفوع أو جزمه، وهلم جرا.

---

[3] النحاس: إعراب القرآن، ج3، ص 335.

[2] **سورة المعارج**-الآية 15-16

[5] القيسي مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج2، ص 235.

[5] سيبويه, الكتاب، ج1، ص 209.

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[1]، فقد قرئ الفعل (قالَ) بالإخبار والأمر، واحتج القيسي لمن قرأ بالإخبار أنه أراد به الخبر عن النبي ◘ أنه قال للكفار مجيباً عن قولهم قبلها: ﴿**هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾[2]**ونزول** هذه الآية بعد أن تقدم هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم، وحجة القراءة بالأمر أن الله أمره أن يقول للكفار مجيباً لهم عن قولهم :﴿**هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ ، قل: ربي يعلم قولكم وقول كل قائل قولاً في السماوات والأرض وهو السميع لجميع ذلك والعليم بخلقه [3] ». وبهذا نقل لنا النسق القرآني بقراءتيه الصورة كاملة؛ صورة أن الرسول أمر فاعلم أن الله سميع عليم بنجوى هؤلاء الكفار، وصورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال كما أمر تبليغاً إليهم لتبكيتهم وإقامة الحجة عليهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً**﴾[4] (سورة الإسراء-الآية 102)، فقد قرئ بنصب التاء في (عَلِمْتَ) ورفعها. قراءة فتح التاء (عَلِمْتَ) هي على وجه الخطاب من موسى عليه السلام لفرعون. وإنما أضاف موسى إلى فرعون العلم بهذه المعجزات؛ لأن فرعون قد علم مقدار ما يتهيأ للسحرة فعله، وأن مثل ما فعل موسى لا يتهيأ لساحر، وأنه لا يقدر على فعله إلا خالق السماوات والأرض، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[5]. يقول ابن

---

[1] سورة الأنبياء-الآية04

[2] سورة الأنبياء-الآية03

[3] الزمخشري , الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 253.

[4] سورة الإسراء-الآية 102

[5] سورة النمل-الآية 14

الجزري: أن موسى عليه السلام أسند هذا العلم إلى فرعون على وجه التقريع؛ لشدة معاندته للحق بعد علمه [1].

أمّا الطاهر بن عاشور فيرى أن فرعون لم يبق في نفسه شك أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله؛ إذ لا يقدر عليها غير الله، وأنه إنما قال (وإني لأظنك يا موسى مسحوراً) عناداً ومكابرة وكبرياء [2]. كما أنه عبر عن الله تعالى بطريق إضافة وصف الرب للسماوات والأرض، تذكيراً بأن الذي خلق السماوات والأرض هو القادر على أن يخلق مثل هذه الآيات الخوارق. وبهذا أشارت هذه القراءة إلى معنى عظيم وهو أن زعماء الكفر يعلمون علم اليقين بصدق أهل الإيمان لكنهم ينكرون مكابرة وعناداً، كما قد يحتمل أن تكون تقريعاً لفرعون لشدة عناده.

أما قراءة ضم التاء فعلى وجه الخبر من موسى عليه السلام عن نفسه. ومن قرأ بذلك كما يرى الإمام الطبري؛ فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله: (**إنـي أظنـك يـا موسـى مسـحوراً**)، أي: لأظنك قد سحرت، فترى أنك تتكلم بصواب ، ولكن ليس بصواب [3]. وعلل ابن الجزري إسناد العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون إذ قال: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون). فقال موسى عن نفسه: (لقد علمت)، فأخبر موسى عن نفسه بالعلم بذلك، أي: إن العالم بذلك ليس بمجنون . [4] فيكون موسى عليه السلام قد قرر أن تلك الآيات ليست بسحر، كما زعمت، كناية عن أنه واثق من نفسه السلامة من السحر، ومتحقق أن ما جاء به منزل من عند الله سبحانه وتعالى

[2] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، 51.

[3] لطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص 227.

[4] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج15، ص 174.

[1] ابن الجزري: المرجع السابق ، ج1، 51.

فيتبين [1] مما تقدم أن موسى عليه السلام ينفي عن نفسه تهمتين أمام خصمه، وهما كونه مجنوناً، ومسحوراً.

ومن الطبيعي أن يورد أدلته اليقينية أمام خصمه، فهو هنا يستخدم أداتي التأكيد (لقد)، وينفي، ثم يثبت في جملة واحدة بأسلوب الحصر، حتى يدفع عن غير الله القدرة على إنزال هذه الآيات العظيمة.

والملاحظ هنا أن الآية الكريمة على القراءتين أشارت إلى جملة من المعاني لعظيمة فبقرآءة ضم التاء تبين أن موسى عليه السلام ينفي عن نفسه تهمتين أمام فرعون، وهما كونه مجنوناً، ومسحوراً، وهذا حتى يدفع عن غير الله القدرة على إنزال هذه الآيات العظيمة. بينما قراءة فتح التاء أفادت معنى آخر، فإسناد العلم إلى فرعون دليل على أن طائفة من رؤوس الكفر يعلمون علم اليقين بصدق أهل الإيمان ويعترفون بقدرة الله لكنهم ينكرون مكابرة وعناداً، وقد يكون في هذا الإسناد أيضاً نوع من التوبيخ والتقريع لشدة معاندة فرعون وكابرته.

فمن خلال هذه الدراسة يتضح أن القراءات القرآنية علم واسع كثير التشعب لا يمكن للباحث المبتدئ أن يستوعب كثيراً من جوانبه، ناهيك عن معرفة جزء يسير من أسراره، وقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية معرفة السر الكامن وراء الاختلاف في العلاقات بين الإعراب والمعاني الدلالية والتي لا يؤدي وجودها إلى اختلافات جذرية في المعنى .

وبهذا أعطت القراءات القرآنية للنص القرآني تميزه وسموه على الكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حد سواء. وفيما يأتي أهم النتائج المتوصل إليها :

[2]الطاهر بن عاشور: المرجع السابق ، ج15، ص 227.

- القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني حيث إن كل قراءة سدت مسد آية ، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة والإعجاز.
- الاختلاف الحاصل بين القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع وتغاير في المعنى وليس اختلاف تضاد وتناقض، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد.
- كان للقراءات القرآنية أثر واسع في الإنتاج الدلالي، فالآية الواحدة بمثابة آيتين دون اختلاف أو تناقض بينهما، فلم نجد قراءة تنادي بحكم مخالف لقراءة أخرى، بل برزت معها عظمة الله سبحانه وتعالى الذي جعل في الحركة والحرف معجزة خالدة من خلال التكامل بين هذه القراءات.
- بفضل اختلاف القراءات القرآنية أدركنا أن مجيئ الكلام على ظاهره والعدول عنه ، كلاهما يستدعي وجهاً بلاغياً يغاير الآخر أو يكمله، فليست الوجوه البلاغية حكراً على ما ترتب عن مظاهر الخروج عن المعهود اللغوي، بل قد يكون جريان الكلام على ظاهره أبلغ من غيره في الدلالة على غرضه.

الفصل الثاني: أثر القراءات القرآنية في إعادة تشكيل البنية النحوية وأبعادها الدلالية– دراسة تطبيقية–

مدخل منهجي

المبحث الأول : أثر القراءات في إعادة تشكيل البنية النحوية في النص القرآني.

المبحث الثاني : أثر القراءات في الاختلاف الدلالي للبنية النحوية المتباينة

المبحث الثالث :أثر القراءات في التباين النحوي والدلالي ونتيجته في فهم الأحكام الشرعية

مدخل منهجي

القراءات القرآنية مظهراً لِما يمكن تسميته بالتعدّد اللساني المعياري داخل النسق اللغوي العربي، إذ تمثّل تنوّعًا منظّمًا في البنية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، نابعًا من صميم النظام اللغوي ذاته، لا من خارجه. ويُسهم هذا التعدّد في إبراز ديناميكية اللغة العربية، ويكشف عن قدرتها على إنتاج صيغ بنيوية متعدّدة داخل نصّ واحد، دون الإخلال بتماسكه الدلالي أو انسجامه التداولي. وانطلاقا من هذا المنظور؛ فإن الانتقال من المباحث النظرية في هذه المذكرة إلى " الجانب التطبيقي" ليس مجرد استعراض لنماذج إعرابية، بل هو محاولة لاستنطاق النص القرآني في ضوء التفاعل بين (القراءة، النحو، الدلالة، والفقه). يتجه هذا الجانب التطبيقي إلى دراسة أثر القراءات القرآنية في إعادة تشكيل البنية اللغوية، انطلاقًا من افتراض مفاده أن الاختلاف القرائي يُحدث تحويلات بنيوية (**Transformations**) تمسّ مستويات مختلفة من النسق اللغوي، ولا سيما المستوى الصرفي والتركيبي، وهو ما ينعكس مباشرة على البنية الدلالية للنص. فاختلاف القراءة لا يُنظر إليه بوصفه مجرّد تنوّع شكلي، بل باعتباره آلية لسانية فاعلة تُعيد تنظيم العلاقات النحوية داخل الجملة، وتُسهم في إنتاج معانٍ متعدّدة تُفهم في ضوء السياق. مبيناً كيف يولد اختلاف "الحرف" القرآني حركة ديناميكية تبدأ من بنية الجملة النحوية لتنتهي ببلورة الحكم الشرعي

ففي هذا الجانب سنسعى لتأصيل المنهجية التي سنسير عليها في تحليل النماذج المختارة وفق ترتيب العناصر التالية :

أولاً: كيف ساهمت القراءات القرآنية في إعادة تشكيل البنية النحوية ؟

في هذا الحقل المعرفي نجد أن القراءات القرآنية تمثل المختبر الأسمى الذي تشكلت فيه القواعد النحوية الأولى، وهي في جانبها التطبيقي تمثل "قوة تغيير" للبنية التركيبية. إن

اختلاف القراءات (من رفع إلى نصب، أو من بناء للمعلوم إلى بناء للمجهول، أو من اسمية إلى فعلية) لا يغير وجه الكلمة فحسب، بل يعيد ترتيب العلاقات الوظيفية داخل الجملة مما ينتج عنه مايلي :

توسيع القالب النحوي: حيث تمنح القراءات القرآنية النحو فرصة لتجاوز "القياس الضيق" إلى "السماع الواسع"؛ فما قد يبدو في قراءة شذوذاً عن قاعدة مشهورة، تأتي قراءة أخرى لتعضده وتجعله أصلاً تبنى عليه بنية نحوية جديدة.

تغيير الرتبة والتعلق: يسهم كذلك تنوع القراءات في تحويل الوظائف النحوية؛ فما كان "فاعلاً" في قراءة قد يصبح "مفعولاً به" في أخرى، وما كان "نعتاً" قد يتحول إلى "حال" أو "استئناف"، وهذا التحول في البنية الإعرابية هو أولى درجات " توجيه القاعدة النحوية " التي يسعى هذا البحث لتعقبها.

الحجية والاحتجاج: سنعمل في الجانب التطبيقي على رصد كيف استند النحاة إلى القراءة لتصحيح وجه نحوي كان محل نزاع، مما يجعل القراءة القرآنية هي "الموجه" للقاعدة وليست التابعة لها.

ثانياً: كيف يمكن لهذا التحول البنيوي أن يفضي إلى في تباين الدلالة والمعاني ؟

إن تغيير البنية النحوية ليس ترفاً لفظياً، بل هو تحول جوهري يتبعه بالضرورة تحول في المعنى المراد. القاعدة اللسانية تقول: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"، وكذلك "تغير المبنى يقتضي تغير المعنى". وعلى هذه القاعدة نجد ألوانا من التعددات التي كل منها يصب في السياق الدلالي والمعنوي فيحصل ما يلي :

التعدد الدلالي: نهدف في دراستنا التطبيقية إلى بيان كيف أن القراءتين في الآية الواحدة ليستا متضادتين، بل هما "كالآيتين"؛ فكل وجه إعرابي يفتح أفقاً دلالياً جديداً.

فمثلاً، التحول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر يغير مسار الجملة من "الإخبار" إلى "الإنشاء"، مما يغير مراد الله في خطابه لعباده.

الظلال المعنوية: سنحلل كيف تضفي القاعدة النحوية الموجهة بالقراءة ظلالاً من المعاني لا تظهر في الوجه الواحد؛ فالقراءة التي توجه الكلمة لتكون "صفة" تمنح معنى الثبوت، بينما توجيهها لتكون "حالا" يمنح معنى التجدد والحدوث، وهذا هو صلب التحليل الدلالي الذي سنعتمده.

ثالثاً: التباين الدلالي كمنطلق للاختلاف في الأحكام الشرعية

يمثل هذا الركن الجزء الأهم في دراستنا، حيث نصل إلى الثمرة الفقهية والتشريعية بحيث إن الفقيه لا يستنبط حكمه من الفراغ، بل من "النص الموجه نحويًا. ونجد بذلك مايلي:

توجيه القاعدة النحوية وصناعة الفتوى: إن اختلاف القراءات في آيات الأحكام (كالوضوء، الطهارة، الصيد، المواريث) أدى بالتبعية إلى اختلاف الفقهاء. فإذا وجهت القراءة القاعدة النحوية نحو "العطف"، تشارك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، وإذا وجهتها نحو "الاستئناف"، استقل كل منهما بحكم منفصل.

النماذج التطبيقية والبعد الأصولي: سنبرز في التحليل كيف اتخذ الأصوليون من الوجه النحوي المستمد من القراءة تكأة لبناء مذاهبهم الفقهية. إن الربط بين "القاعدة النحوية" و"الحكم الشرعي" في هذا البحث يثبت أن النحو العربي لم يكن يوماً علماً جافاً، بل كان خادماً للشريعة ومحدداً لمراميها.

ولضمان الدقة المنهجية، اعتمدنا في هذا الجانب التطبيقي على الخطوات التالية :

1. **الانتقاء:** اخترنا شواهد قرآنية من سُوَر متنوعة، ركزنا فيها على الكلمات التي تعددت قراءاتها ونتج عنها أثر نحوي.

2.**التوثيق**: عزو القراءات إلى أصحابها من الكتب المعتبرة (كالسبعة لابن مجاهد، والنشر لابن الجزري).

3.**التحليل النحوي**: عرض آراء المعربين والنحاة وكيفية توجيههم لكل قراءة، مع الإشارة إلى المدارس النحوية (بصرية/كوفية) إن وجد الخلاف.

4.**الربط الدلالي والفقهي**: شرح كيف تغير المعنى تبعاً للإعراب، ثم نقل آراء الفقهاء والمفسرين حول الحكم الشرعي المستنبط من ذلك التوجيه.

ويعتمد البحث في جانبه التطبيقي على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال توصيف الظواهر اللسانية الناتجة عن اختلاف القراءات، وتحليلها وفق مقاربة مستوياتية (Approche stratifiée) تقوم على تفكيك البنية اللغوية إلى مستوياتها الصرفية والتركيبية والدلالية التداولية. كما يتعين علينا أن نستعين في بحثنا بـ المنهج المقارن عند معالجة الآيات ذات القراءات المتعدّدة، وذلك للكشف عن أوجه الاختلاف البنيوي والدلالي بين القراءات، وبيان أثر ذلك في إعادة بناء المعنى.

المبحث الأول : اختلاف البنية الفاعلية والمفعولية

I. اختلاف البنية مع اتفاق الدلالة :

1 – (فَعَلَ) و (فَعِلَ)

الموضع	رقم الآية	القراءة
قال تعالى :اَلَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا	سورة البقرة–الآية 246–	عَسِيتم – عَسَيْتم

قرأ السبعة عدا **نافعاً**: (عَسَيْتُم) بفتح السين، وقرأ نافع: (عَسِيتُم) بكسرها.[1]

عسى [2] : فعل جامد، معناه: الإشفاق والطمع، وفيه لغتان، فتح السين، وكسرها والأولى هي اللغة الفاشية.

والاختلاف في القراءتين ظاهري لا يترتب عليه اختلاف في المعنى، فالمعنى فيهما: أنَّ النبي الذي سألوه أنْ يبعث لهم ملكاً يقاتلوا في سبيل الله قال لهم: هل تَعِدون إنْ فُرِضَ عليكم القتال ألا تفوا بما وعدتم! [3] ويمكن توجيه القراءتين على التالي:

- **قراءة فتح السين:** جاءت على الأصل في الفعل، وهو (فَعَلَ)، مثل رمى، وسعى، وحمى.
- **قراءة كسر السين:** وأَحْتُجَّ لها بأنها جاءت على لغة أهل الحجاز.

ومع ما تراه من اتفاق القراءتين دلالةً، ومع ثبوت الظاهرة اللهجية في قراءة الكسر، فقد علا صوت الاختيار والترجيح فأكثر القوم اختاروا قراءة الفتح على قراءة الكسر، لكونها اللغة المشهورة، وعليها أكثر القراء. .

---

[1] ابن مجاهد , السبعة .تح:شوقي ضيف.النشر: دار المعارف–القاهرة.د ت.ط1. ص186

[2] ابن منظور.لسان العرب : مادة (ع.س.ي) ج6 ص458.

[3] الطبري. التفسير الجامع ,ج4 ص 442.

وجه الإشكال

أنّ قراءة الفتح هي اللغة الفاشية ، وفي قراءة الكسرة مخالفة للفاشي في العربية ، وبالغ أبو حاتم فقال : « ليس للكسر وجه » [1]

التوجيه ورفع الإشكال :

القراءة بكسر السين لغة فصيحة صحيحة واردة عن العرب ، فإن العرب تقول : هو عسٍ، بذلك مثل حرٍ ، وقد جاء في اللغة العربية نَعَمَ ونَعِمَ ، فكذلك عسَيْت وعَسِيت .

ولا ننكر أن يكون في ذلك مخالفة للفاشي في العربية لأن القراءة لا يشترط فيها الموافقة للفاشي منها .

وقد أشار ابن مالك في الألفية إلى اختيار الفتح فقال :

والفتح والكسر أجز في السين من**نحو عسَيت وانتقا الفتح زكن .**

ومما يبدو لي فإنّ في ترجيح قراءة الفتح على قراءة الكسر تكلفاً لا يخفى، وما كان أغنى القوم عن ردِّ قراءة سبعية، لاسيما مع الاتفاق على أن القراءتين يحكمهما مبدأ الأصلية واللهجية، ويمكن الرد عليهم من وجوه :

- **أحدها**: ترجيح إحدى القراءتين بدعوى شهرتها وكثرة القراء بها مسلكٌ غير مقبول؛ ذلك أنَّ القراءة إنما تستمد حجيتها من تواترها بنقل الثقات عنه صلى الله عليه وسلم، لا من عدد قرائها، ولا من شهرتها على لسان الناطقين بها، فليس كثرة القراء بمسوغ للترجيح، كما أن قلتهم أو انفراد واحد من السبعة بها لا يُسَوِّغ ردَّها أو إنكارها.
- **الثاني**: قول أبو حاتم السجستاني رحمه الله السالف الذكر عجيب، ولا أجد طريقاً أبلغ في الرد عليه من ذكر الوجوه التي تُسوِّغ الكسر، وهي كثيرة منها :

[1]الزمخشري." الكشاف".النشر: دار الكتاب العربي– لبنان.1987م.ط1.ج.ص301

أ – أن الكسر لغة حجازية في (عسى) جاء مسنداً لضمير؛ أعني تاء الفاعل مطلقاً، و(نا) للفاعلين، ونون النسوة، ويفتحون ما عداه، يقولون :عسيت وعسيتم وعسينا وعسيتن بالكسر جوازاً، فإذا قالوا :عساه أو عساهم أو عسانا أو عساكم فليس إلا الفتح [1].

ب – تجويز بعض النحاة قياس ما أُسند منه للظاهر على ما أُسند للضمير في كسر سينه، جاء في لسان العرب :أن العرب تقول :عسيت أن أفعل ذلك، بالفتح والكسر.

ج – قول العرب :هو عَسٍ بذلك " حيث اسم الفاعل منه مكسور، وبهذا اسْتُدِلَّ على كسر سين ماضية، ونظيره :حَرٍ وشجٍ، من حَرِيَ وشجِيَ، فكذلك عَسِيَ لمن قال :)عسيت.[2]

د – ثبت في الدرس الصرفي أنَّ الكسر والفتح يتعاقبان على) فَعَلَ (لمعنى واحد، ومن ذلك قولهم :نَقَمْتُ ونَقِمْتُ، وَوَرَي الزند وَوَرِيَ بك الزند .

2 – (فَعِلَ) و(فِعِلَ) و(فِعْل)

الموضع	رقم الآية	القراءة
قال تعالى :إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	**سورة البقرة– الآية271–**	**نَعِمَّ – نِعِمَّ – نِعْمَ**

قرأ ابن **عامر وحمزة والكسائي وخلف** لفظ ﴿فَنِعِمَّا﴾ بفتح النون وكسر العين.(فَنَعِمَّا) : بفتح فكسر، على الأصل.وقرأ **ورش وابن كثير وحفص ويعقوب** بكسرهما.(فنِعِمّاَ) بكسر فكسر: باتباع الكسرة كسرة,وقرأ الباقون وهم: **قالون وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر** بكسر النون وسكون العين١(فنِعْمّاَ) : بكسر فسكون، بطرح الكسرة الثانية. ولأبي عمرو وقالون وشعبة وجه آخر، وهو: اختلاس كسرة العين .

[1] أبو علي. الحجة للقراء السبعة .تح: بشير جويجاتي وآخرون.النشر :دار المأمون–دمشق. ط1,1993م.ج2 ص350

[2] أبو علي. الحجة للقراء السبعة .2 / 350 .

وما يقال هنا يقال في موضع النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾[1].

نِعِمَّ: فعل ماض يستعمل للمدح، وضده (بئس) للذم، وهما فعلان جامدان، وقد حكى **الجوهري؛ إسماعيل بن حماد** في (نعم) أربع لغات .

وكذلك (ما) فيهن نكرة بمعنى (شيء)، في موضع نصب تمييز لفاعل (نعم) المضمر، والتقدير: نعم شيئاً إبداؤها

ومن الظاهر هنا اتفاق الدلالة؛ فالمعنى واحد في القراءات الثلاث، وملخصه: ثناء على إبداء صدقة التطوع، ثم حكم بأنَّ الإخفاء خيرٌ منه؛ لأنه مظنة الإخلاص [2].

وجه الإشكال

استشكل النحاة قراءة إسكان العين هنا ، ورجح بعضهم أن يكون ذلك من توهم الراوي في سماعه **أبا عمرو**، وقالوا: يشبه أن يكون **أبو عمرو** سلك في ذلك طريقته في الإخفاء، فتوهموا أنه سكّن . ووجه الإشكال عندهم هو: في الجمع بين الساكنين، وليس الأول منهما حرف لين .

قال **أبو علي الفارسي**: «**من قرأ ﴿فَنِعِمَّا﴾ بسكون العين من ﴿نِعِمَّا﴾ لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين؛ لأنه جمع بين ساكنين، الأول منهما ليس بحرف مد ولين، والتقاء الساكنين إنما يجوز إذا كان الحرف الأول منهما حرف لين، نحو: دابة وشابة ؛ لأن ما في الحروف من المد يصير عوضاً من الحركة**» .[3]

[1] سورة النساء–الآية 58

[1] عبد العزيز بن علي الحربي, " توجيه مشكل القراءات العشرية " .بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه بإشراف : سيدي الحبيب. الناشر : جامعة أم القرى . طسنة 1417 هـ. ص145 –148 منقول بتصرف.

[2] أبو علي , المصدر السابق.ج2 ص396 بتصرف .

وقال **أبو حيان**: «**وأنكر الإسكان أبو العباس وأبو إسحاق ، وأبو علي الفارسي؛ لأن فيه جمعاً بين ساكنين على غير حده، وقال أبو العباس: لا يقدر أحد أن ينطق به، وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأتيه**»

وقال **مكي**: «وروي الإسكان للعين، وليس بشيء ولا قرأت به؛ لأن فيه جمعاً بين الساكنين» [1].

التوجيه ورفع الإشكال:

ويمكن تخريج توجيه القراءات الواردة على النحو التالي:

- **قراءة فتح الأول وكسر الثاني**: (نَعِمَّا): جاءت على الأصل في (نعم) فهو من باب (فَعِلَ) بفتح فكسر، ومثله: عَلِمَ، وشَهِدَ، ولَعِبَ، وضَحِكَ... الخ وعليه قول طرفة بن العبد :

خَالِتِي والنَّفسُ قُدْماً أتهم**نَعِمَ السَّاعُونَ في القَوْمِ الشُّطُرْ** [2]

- **قراءة كسر الأول والثاني**: (نِعِمَّا): كسرت فيها الفاء إتباعاً لكسرة العين، حيث إنَّ عين الفعل حرف حلقي جاء مكسوراً، فكسرت الفاء لكسره. ومن هذا القبيل قولهم: شِهِد، ولِعِب ولِعِب في: شَهِد ولَعِب وحكى الأخفش الأكبر؛ أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أنها لغة هذيل .

وقد ذهب قوم من النحاة إلى توجيه آخر لهذه القراءة مفاده :أنَّ أصلها (نِعْمَ)، فلما دخلت عليها (ما) وأدغمت الميمان، كسرت العين؛ منعاً لالتقاء الساكنين، وذلك نحو (يهِدّي) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن

[1] علي الحربي .المصدر السابق , ص 148 بتصرف

[2] سبيويه –الكتاب 4 / 440 .البيت من البحر الوافر في ديوان الشاعر .

يُهْـدَىٰ﴾[1]، وكـان أصـلها (يهتـدي) بإسـكان الهـاء، فلمـا أدغمـت التـاء في الـدال لتقاربهمـا كُسرت الهاء؛ لمنع التقاء الساكنين: الهاء وأول الحرفين المدغمين [2].

وهـذا التوجيـه محـل نظـر عنـد كثـير مـن أئمـة اللغـة، يقـول **سـيبويه** رحمـه الله؛ راداً هـذا التوجيـه في (نعمـا) في سـورة النسـاء: "وأمـا قـول بعضـهم في القـراءة: ﴿إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُـم بِـهِ﴾ فحـرك العـين فلـيس مـن قـال: (نِعْـمَ) فأسـكن العـين، ولكنـه علـى لغـة مـن قـال: (نِعِـمَ) فحـرك العـين"وبـيَّن أبـو علـي الفارسـي رحمـه الله أنَّ كسـر العـين مـن أجـل الإدغـام الحاصـل في لام الكلمة إنما يجوز فيما كان في كلمة واحدة، ويمتنع فيما وقع في كلمتين كما في (نعم ما).

ويظهـر لي أنَّ توجيههـا وفـق الظـاهرة اللهجيـة، أعـني الإتبـاع علـى لهجـة هـذيل أولى مـن تكلـف القول بالإدغام، لاسيما مع وجود النظير من كلام العرب.

- **قـراءة إسـكان العـين**: (نِعْمَّـا) وفيهـا جمـعٌ بـين سـاكنين همـا العـين والمـيم الأولى المدغمـة في مثلهـا، ولـذا تباينـت مواقـف النحـاة منهـا بـين القبـول والـرفض والتخـريج، وهـذا إجمـال بيانـه كالتالي:

أنكـر كثـير مـن النحـاة هـذه القـراءة؛ تمسـكاً بالحـد الـذي وضـعوه لقبـول اجتمـاع السـاكنين، فهـو إنمـا يجـوز عنـدهم إذا كـان أول السـاكنين حـرف مـدٍّ أولـين، لأنَّ مـا في هـذه الحـروف مـن المـد يقـوم عوضـاً عـن الحركـة، فيسـوغ الجمـع بينهمـا، ومـن الشـواهد الـتي انضـوت تحت حدهم هذا نحو: دابّة، وشابّة .

ولمـا نـدَّت هـذه القـراءة عـن الحـد المـذكور ردُّوهـا هـي ومـا ماثلهـا مـن قـراءات، يقـول أبـو علـي الفارسـي عـن القـراءة الـتي بـين أيـدينا: "مَـنْ قـرأ (فنعمـا) بسـكون العـين مـن (نِعمـا) لم يكـن قولـه مسـتقيماً عنـد النحـاة "، ويعقـب مكـي بـن أبي طالـب القيسـي عليهـا قـائلاً:

[1] سورة يونس–الآية35

[2] سبيويه, الكتاب 4 / 439 بتصرف

"وليس بشيء، ولا قرأتُ به، لأنَّ فيه جمعاً بين ساكنين... وذلك غير جائز عند أحد من النحويين"

وظاهر مما سلف أنَّ موقف النحاة في هذه المسألة مرده إلى عاملين: صناعي يتمثل في مخالفة القاعدة النحوية، وصوتي يتمثله عدم القدرة على إتيانه.

هذا وقد مال جماعة من النحاة إلى تخريج هذه القراءة تخريجاً يصرفها عن الجمع بين ساكنين، إلى الإخفاء، يقول أبو علي الفارسي رحمه الله معقباً على هذه القراءة "لعل أبا عمرو أخفى ذلك، كأخذه بالإخفاء في: (بارِئِكُمْ) و(يَأْمُرُكُمْ) فظن السامعُ الإخفاءَ إسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه "[1]والإخفاء مسلكٌ يلجأ إليه القارئ؛ تخلصاً من التقاء الساكنين، وهو النطق بأكثر الحركة وإذهاب أقلها، ومعناه هنا أنَّ القارئ قرأ بكسر النون واختلاس كسرة العين، فأصله: نِعِمَ لا نِعْمَ، ومثله قراءة أبي عمرو باختلاس كسرة الهمزة في قوله تعالى ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، واختلاس ضمه الراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾.[2]

يمكن إجمال هذه التخريجات من الأوجه المقروء بها ورفع الإشكال عنه في الأمور الآتية :

- المرجع في القراءة صحة روايتها عن النبي ◘ .
- إذا أنكر نحوي القراءة بحجة مخالفتها القاعدة التي تواطأ عليها النحاة وأُنكر على إنكاره ولم يُعبأ بقوله؛ لأن القاعدة التي وضعها وضعها من لا عصمة له، والقراءة رويت عن معصوم، والمعصوم لا يُقرّ على خطأ.
- هذه القراءة مروية عن **أبي عمرو، وأبو عمرو** كان من علماء العربية والأئمة الفصحاء، وقد رواها وتلقاها ولم ينكرها.

[1] ينظر :أبو علي . الحجة للقراء السبعة , 2 / 398

[2] سورة النساء –الآية58

- اختار هذه القراءة -على كثرة استبعاده لكثير من وجوه القراءة- **أبو عبيدة** أحد أئمة اللغة المشهورين وقوّاها وانتصر لها .

- الجمع بين الساكنين في مثل هذا لغة ذكرت عن العرب (٤)، ولذلك نظائر في القراءة لا يمكن أن يكون حصل في جميعها ظنّ من الراوي بأن القارئ الذي هو يروي عنه أراد الاختلاس فسكّن، ومن ذلك لفظ: ﴿وَلَا تَعْدُوا﴾، وبعض تاءات البزي، نحو: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ [سورة التوبة-الآية ٥٢]، و﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾[سورة يونس-الآية ٣٥]، و ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [سورة الكهف-الآية ٩٧]، و ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، (كل ذلك مروي عن السبعة).

II. اختلاف البنية مع اختلاف الدلالة :

١ – (فَعَلَ) و(فَعَّلَ)

الموضع	رقم الآية	القراءة
قال تعالى : وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ	**سورة البقرة الآية-10-**	**يَكذِبون-- يُكَذّبُون**

قرأ **عاصم وحمزة والكسائي** (يَكْذِبون) بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون (يُكَذِّبون) بضم الياء وتشديد الذال[1] .

جليٌّ أن الصيغة المجردة (يَكْذِبون) مضارع (كَذَب) من باب (فَعَلَ يَفْعِلُ)، أما الصيغة المزيدة (يُكَذِّبون) فهي مضارع (كَذَّب) على (فَعَّل)، وبينهما اختلاف ظاهر في المعنى، فالكذب هو[2] فعل الذات، والتكذيب نسبة الغير إلى الكذب صادقاً كان أم كاذباً، وما ورد في القرآن منه من قبيل تكذيب الصادق . ويمكن توجيه القراءتين على النحو التالي :

[1] ينظر : ابن مجاهد . السبعة . ص143.

2 ينظر : ابن منظور , لسان العرب , (ك.ذ.ب).

✓**القراءة بالصيغة المجردة:** معناها: كَذَب[1] المنافقون في قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر، في الآية وعيد من الله تعالى لهم بالعذاب الأليم بسبب كذبهم في قولهم هذا، و(ما) الداخلة على الفعل مصدرية، : ولهم عذاب أليم بكذبهم، والفعل غير متعدٍ، وفي استعمال الصيغة المجردة هنا مطابقة الكلام لما قبله وما بعده فقد قال الله سبحانه و تعالى قبل هذا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[2] فأخبر أنهم كاذبون في قولهم ذلك، كما قال بعده: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[3] ففي قولهم للشياطين (إنا معكم) دليلٌ على كذبهم في إدعاء الإيمان، ثم إن المولى تبارك وتعالى حكم بكذبهم حيث قال فيهم: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[4] .(سورة المنافقون–الآية01).

✓**القراءة بالصيغة المزيدة**: مضمونها: تكذيب المنافقين محمداً صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله، ويكون الوعيد في الآية لهم بالعذاب الأليم بسبب تكذيبهم، والفعل متعدٍ، ومفعوله محذوف، لفهم المعنى، أي ولهم عذاب أليم بسبب تكذيبهم لما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربه.

وفي القراءة بهذه الصيغة مطابقة لها بما قبلها، حيث يقول تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ فهم مكذبون، لأن مَن كان في قلبه مرض وهو الشك، لا محالة سيفضي به إلى الجحد والتكذيب [5].

---

[1] ينظر المكي : معاني القراءات . 1 / 34 .

[2] سورة البقرة–الآية08

[3] سورة البقرة–الآية14

[4] سورة المنافقون–الآية01

[5] سلطانة الشهراني , اختلاف أبنية الفعل في القراءات , نشرت في مكتبة عين الجامعة – الأردن في 2015م . ص48.

مما هو ظاهرٌ أن القراءتين مختلفتان بنيةً ودلالةً، مع أن المراد بهما واحد هو المنافقون، وقد عقد أبو عمرو الداني باباً سماه : "اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه "[1]

فما يمكننا الإشارة إليه من خلال هذه الأقوال أننا أمام صورة من صور الإعجاز اللغوي ؛ و يتجلى هذا في دلالة القراءتين على معنيين مختلفين دون أدنى تضارب أو تناقض، بل هو التنوع والتغاير، زد على ذلك ما أضفاه هذا الاختلاف من توسُّع دلالي لحاصل القراءتين مفاده: أن المنافقين لهم عذاب أليم بسبب كذبهم وتكذيبهم معاً. وفي هذا إشارة لطيفة إلى أن المنافقين قد جمعوا بين الأثمين: الكذب والتكذيب , وبالجملة فإن هذا الطرح مفاده أن الصيغتين تجمعهما علاقتان مختلفتان في آن واحد: إحداهما: علاقة العموم والخصوص؛ فالتكذيب أعمُّ من الكذب ألا ترى أن كل من كذَّب صادقاً فقد كذب في فعله، وليس كل من كُذِّب مُكَذِّباً، ثم إن المولى عز وجل قد حكى ما وقع من تكذيب الرسل، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ (**سورة** الأنعام–الآية34).

٢ – (فَعَلَ) و(تَفَعَّلَ)

الموضع	رقم الآية	القراءة
قال تعالى : فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ	**سورة البقرة –الآية– 222–**	**يَطْهُرْن – يَطَّهّرْن**

قرأ **ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم** في رواية حفص (يَطْهُرْنَ) مخففة الطاء مضمومة الهاء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل: (يَطَّهَّرْنَ) مشددة الطاء مفتوحة الهاء [2].

[1] أبو عمرو الداني .الأحرف السبعة للقرآن . تح: عبد المهيمن طحان .مكتبة المنارة – مكة المكرمة .ط 1 سنة 1408 هـ. ص47.

[2] ينظر : ابن مجاهد : السبعة ، ص182.

القراءتان من طَهُرت المرأة طُهراً وطهارةً: خلاف طمثت، والطهارة نوعان، طهارة جسم، وطهارة نفس [1].

وقد جاءت القراءة الأولى (يَطْهُرْنَ) بالصيغة المجردة، مضارع (طَهُر) على (فَعُلَ) من باب (فَعُلَ يَفْعُلُ)، وجاءت الثانية (يَطَّهَّرْنَ) بالصيغة المزيدة، مضارع (تَطَهَّرَ) على (تَفَعَّلَ) وأصلها: يتطهرن، ثم أُدغمت التاء في الطاء، لقرب مخرجيهما، وبين القراءتين اختلاف في المعنى، يضيق حيناً ويتسع حيناً آخر، بيانه كالتالي :

- **الصيغة المجردة**: (يَطْهُرْنَ) معناها: انقطاع الدم بعد الحيض

المعنى : يسألونك عن الحيض [2] ، قل هو أذى، فلا تقربوا نساءكم وقت حيضهن حتى ينقطع عنهن الدم ويطهرن. وإنما ينعقد هذا المعنى، وتتم الفائدة من مجموع الفعلين: (حتى يطهرن) و (فإذا تطهرن)، حيث يقصد بالأول انقطاع الدم، وبالثاني التطهر بالماء، وهما الشرطان الواجب تحققهما لوطء الحائض، فقد انعقد الإجماع كما ذكر الطبري رحمه الله على أنه يحرم على الرجل أن يقرب امرأته إذا انقطع دم حيضها حتى تغتسل بالماء، ومن هنا كانت المرأة حال انقطاع دم الحيض عنها دون غسل في حكم الحائض من حيث: منعها عن الصلاة والتلاوة، وجواز مراجعة زوجها لها إذا كانت مطلقة، و منع الجماع.

وعليه فإن الحكم المذكور لم يكن لينعقد بذكر الفعل لأول دون الثاني؛ لأن ذلك سيفضي إلى القول بجواز وطء الحائض حال انقطاع الدم وإن لم تتطهر بالماء، وهو خلاف المجمع عليه. واُستدل على هذه القراءة بقول العرب: طَهُرت المرأة فهي طاهر، واختارها غير واحد، منهم مكي بن أبي طالب القيسي رحمه الله، مبيناً أنها تمتاز عن القراءة بالصيغة المزيدة بأن فيها دليلاً على أن انقطاع الدم شرطٌ للوطء المذكور.

---

[1] الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . تح : صفوان عدنان الداودي, الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.ط1 ستة 1412هـ.ص 307.

[2] ينظر : الطبري . تفسير الطبري , 731/3 .

الصيغة المزيدة: (يطَّهرن): معناها الاغتسال بالماء [1] ، ودليلها إجماعهم على (تفعَّل) في قوله تعالى في الآية نفسها ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، ويؤكدها أيضاً إجماعهم على الصيغة عينها لكن بفعل الأمر في قوله عز من قائل: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[2].والمعنى ..: ولا تقربوا نساءكم وقت حيضهن، حتى يغتسلن فيتطهرن من الحيض بعد انقطاعه. فالصيغة المزيدة تدل بذاتها ليس بمجموعها مع فعل آخر على مضمون الإجماع السالف الذكر، وهو حرمة وطء الحائض قبل الغسل، ولهذا اختارها جماعة منهم: الطبري ، وأبو علي الفارسي، يقول: "لأنها ما لم تتطهر في حكم الحيض" [3] وجليٌّ أن هذه الصيغة تخلو من شرط انقطاع الدم.

فاستنادا إلى الأقوال السابقة يظهر أن هناك اختلاف في الدلالة ظاهر ؛ وليس هذا بالذي يُسوِّغ لأحدٍ اختيار قراءة على أخرى، ولا مشاحة في أن من ذهب هذا المذهب قد جانب الصواب، والثابت عند المفسرين أنه يتحصل من مجموع القراءتين أمران اثنان [4] :

1. أنه لا يجوز للزوج أن يقرب زوجته الحائض حتى يحصل انقطاع الدم.

2.أنه لا يجوز له قربانها حتى تتطهر بالماء.

وغاية ما في الأمر أن قراءة التخفيف منظورٌ فيها إلى أصل الطهر، وهو انقطاع الدم، والذي يتبعه لا محالة التطهر بالماء، أما قراءة التشديد فالمراعى فيها ابتداءُ التطهر بالماء الذي يسبقه لا محالة انقطاع الدم.

---

[1] ينظر : أبو علي , الحجة للقراء السبعة ج2 ص 222.

[2] سورة المائدة –الآية06

[3] المرجع نفسه .

[4] أحمد عمر بازمول ' القراءات وأثرها في التفسير والأحكام . بحث لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية بإشراف السيد : عبد الستار سعيد .الناشر : جامعة أم القرى 2010 م ص145.

المطلب الثاني : اختلاف البنية التتابعية (العطف)

تُعدُّ التتابعيةُ في النظم القرآني مظهراً من مظاهر الاتساق والترابط النحوي والدلالي، حيث يضطلعُ حرفا العطف "الواو" و" االفاء " بدورٍ محوريٍّ في توجيه المعنى، وتحديد الرتبة الإسنادية، وربط الحدث بالحدث .وإذا كان الأصلُ في الواو «**مطلق الجمع والتشريك** »، **وفي الفاء** «**الترتيب والتعقيب** »، فإنَّ القراءات القرآنية قد فتحت أفقاً أوسع لتوظيف هذه الأدوات، حيث أثمر اختلافُ القراء في حركة المعطوف والمعطوف عليه- أو في تغيير صيغ الأفعال المقترنة بهذه الحروف -تنوعاً دلالياً دقيقاً، يُسهم في الكشف عن أوجه التوجيه النحوي وتعدد القراءات في الموضع الواحد.

وفي هذا المطلب، سننتقل من التجريد النظري إلى المعالجة التطبيقية، عبر استقراء نماذج مختارة من القراءات القرآنية التي تباينت فيها وجوه القراءة تبعاً لاستعمال الواو والفاء؛ لنكشف عن أثر هذا التباين في توجيه الحكم النحوي، وضبط العلاقات التتابعية بين مفردات الجملة القرآنية، مع التركيز على المواضع التي أثارت إشكالاتٍ لدى النحاة والمفسرين، والتي تتجلى فيها دقةُ العرب في اختيار أدوات الربط ودلالاتها. و سنورد جملة من الأمثلة نوضح فيها ومن ذلك :

1. من مواضع الاختلاف في الواو في القرآن الكريم :

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1].

مذاهب القراء:

قرأ **ابن عامر**: (قالوا) بغير واو قبل القاف، وهو كذلك في المصحف الشامي، وقرأ الباقون: (وقالوا)، أي: بواو قبل القاف، كما هو في مصاحفهم. ولا خلاف بينهم في

[1] سورة البقرة-الآية 116

حذف الواو من موضع يونس[1] وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]

معاني القراءات وثمرة الخلاف:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: "هذا إخبار عن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، وقيل: عن اليهود في قولهم: (عزير بن الله)، وقيل: عن كفرة العرب في قولهم: الملائكة بنات الله [3] والقراءة بالواو أكد في الربط؛ فيكون عطف جملة خبرية على جملة مثلها.[4] والعطف إما أن يكون على :[5]

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾[6].
- أو على ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾[7]
- أو على ﴿مَنَعَ﴾[8].
- أو على مفهوم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾دون لفظه؛ لاختلاف الجملتين، فإن إحداهما إنشائية، والأخرى خبرية والتقدير: ظلموا ظلماً شديداً بالمنع، وقالوا. وإن جُعل من عطف القصة على القصة، لم يحتج إلى تأويل، والاستئناف حينئذ بياني، كأنه قيل، بعدما عدد من قبائحهم: هل انقطع خيط إسهابهم في الافتراء على الله أم امتد؟ فقيل: بل امتد؛ فإنهم قالوا ما هو أشنع وأفظع".

---

[1] ينظر: النشر، ابن الجزري، ج: 2، ص: 220.

[2] سورة يونس-الآية 68

[3] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج:1 ص444.

[4] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج: 1 ص: 362

[5] الألوسي ، ينظر الأقوال الأربعة الأولى في: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج:1، ص: 366

[6] سورة البقرة-الآية 113

[7] سورة البقرة-الآية 111

[8] سورة البقرة-الآية 114

■ أو على: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، أي: "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها، وقالوا اتخذ الله ولداً. وهم: النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله". تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والقراءة بغير واو على: "استئناف الكلام، أو ملحوظاً فيه معنى العطف. واكتفى بالضمير والربط به، عن الربط بالواو".[1]

ولم يختلفوا في موضع يونس؛ "لأنه ليس قبله ما ينسق عليه، فهو ابتداء كلام، واستئناف خرج مخرج التعجب من عظم جرائمهم، وقبيح افترائهم، بخلاف هذا الموضع؛ فإن قبله: (وقالوا لن يدخل الجنة) و(وقالت اليهود والنصارى)، فعطف على ما قبله، ونسق عليه" [2]

وأما هذا الموضع؛ فاختلفوا فيه، فقيل: "المعنى واحد في إثباتها وحذفها ؛ لأن الواو تعطف جملة على جملة، ويُستغنى عنها إذا التبست الجملة الثانية بالأولى، وإن أَتي بها فحسن .

فحذف الواو يجوز من وجهين: الأول: أن جملة (قالوا اتخذ الله ولداً) ملابسة بما قبلها من قوله ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾[3] لأن من منع مساجد الله، هم: جميع المتظاهرين على الإسلام. وعليه: فالذين قالوا: اتخذ الله ولداً، من جملة هؤلاء، فيُستغنى عن الواو؛ لالتباس الجملة بما قبلها، كما استغني عنها في نحو قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[4] "ولو كان: (وهم فيها خالدون)، كان حسناً، إلا أن التباس إحداهما بالأخرى، وارتباطها بها، أغنى عن الواو. والوجه الآخر: أن تستأنف الجملة فلا تعطفها على ما تقدم" [5].ومناسبة الآية للتي قبلها - وهي: ﴿وَلِلَّهِ

[1] أبو حيان، البحر المحيط ج: 1 ص: 362.

[2] ابن الجزري، النشر .ج: 2، ص: 220.

[3] سورة البقرة -الآية114

[4] سورة البقرة- الآية 39

[5] بو علي الفارسي، ينظر: الحجةج: 2، ص: 202

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] أنه تقدم فيها وصفه تعالى بتمام القدرة، واتساع الفضل، وشمول العلم. وبهذا يُعلم: أنه من المحال افتقاره إلى شيء، ولدٍ أو غيره، فقدم أهل الأديان الباطلة كلهم؛ بسبب فريتهم الشنيعة، في نسبة الولد إليه، فقال، معجباً ممن اجترأ على نسبة ذلك إليه مع معرفة ما تقدم: (وقالوا اتخذ الله ولداً). "ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم، حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر، على طريق الاستئناف في جواب: (من). كأنه قال: هل انقطع حبل افترائهم؟ إشارة: إلى ذم كل من قال بذلك، وذلك إشارة إلى شدة التباسها، كما قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة؛ لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام، مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر؛ لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها. والحاصل: أنه إن عطف: كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب ، وإذا حذفت الواو: انصب إلى الكل انصباباً واحداً" [2].

الموضع الثاني :في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ففتقتاهما وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] والآية قبلها هي: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4]

مذاهب القراء:

قرأ ابن كثير: (أَلَمْ)، بغير واو بين الهمزة واللام. وقرأ الباقون: (أَوَ لَمْ)، بالواو بينهما وهي: بغير واو في مصاحف أهل مكة، وفي سائر المصاحف بواو.[5]

[1] سورة البقرة–الآية 115

[2] البقاعي , نظم الدرر، ، ج: 2 ص: 126

[3] سورة الأنبياء–الآية 30

[4] سورة الأنبياء–الآية 29

[5] ابن الجزري: النشر، تح :أيمن سويد دار الغوثاني للدراسات القرآنية–ط1 سنة 2022م ج: 2 ص: 323.

معاني القراءات وثمرة الخلاف:

المعنى العام للآية: "هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة، ودلالة على تنزيهه عن الشريك، وتوكيد لما تقدم من أدلة التوحيد، ورد على عبدة الأوثان": كيف عدلوا عن عبادة الإله القادر على هذه المخلوقات إلى عبادة حجر لا ينفع ولا يضر؟! وكيف لم ينظروا إلى خلق السموات والأرض، فقد كانتا شيئاً واحداً، ففصل بينهما بالهواء! وإنما قررهم بذلك مع أنهم لم يشاهدوه؛ لوروده في القرآن، "الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئي المشاهد،.... وقيل: السماء قبل المطر رتق ، ففتقها بالمطر، والأرض قبل النبات رتق، ففتقها بالنبات. ثم يبين الحق، تبارك اسمه، أنه جعل من الماء كل شيء حي، بأن جعل مادته من النطفة، أو أن كل نامٍ من الماء، فيدخل فيه النبات والمعدن، وتكون الحياة فيهما مجازاً. أو يكون المعنى: "وصيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه [1].

من قرأ بالواو: عطفها على ما قبلها، ومن حذفها: "لم يجعله نسقاً، لكنه جعله ابتداء كلام في معنى وعظ وتذكير" [2].

وجه ارتباط الآية بما قبلها – على قراءة الواو – ذكره في نظم الدرر، فقال: "ولما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه، تارة بقيد كونها أرضية، وتارة بقيد كونها سماوية، وتارة مطلقة، لتعم كلاً من القسمين وغيرهما، واستدل على ذلك بما لم تبق معه شبهة، فدل تفرده على أنه لا مانع له مما يريد من بعث ولا غيره، وكان علمهم لا يتجاوز السماوات والأرض، قال – مستدلاً على ذلك أيضاً، مقرراً بما يعلمونه، أو ينبغي أن يسألوا عنه حتى يعلموه؛ لتمكنهم من ذلك: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[3] ، جالياً له في أسلوب العظمة: (أولم ير) أي: ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا من أدلته؟. ولم يروا، ولكنه أظهر؛ للدلالة على أنهم:

[1] أبو حيان ,البحر المحيط،تح:صدقي محمد جميل. دار الفكر دط.سنة 2000م ج: 6 ص: 307 و309

[2] ابن زنجلة, حجة القراءات، ، ص: 467.

[3] سورة الأنبياء الآية 7

يغطون أنوار الدلائل عناداً، فقال: (يرَ)، أي: يعلم علماً هو كالمشاهدة". ثم ذكر في نظم الدر أيضاً: وجه ارتباطها بما قبلها، على قراءة حذف الواو العاطفة، فقال: "وحذف ابنُ كثير الواو، على ما قدرته، مما هدى إليه السياق أيضاً – لا للاستفهام – بما دل عليه ختام الآية التي قبل: من البعث والجزاء، المقتضي للإنكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءته: نجزي كل ظالم بعد البعث. ألم ير المنكرون لذلك: قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلائق؟! "[1]

وقد يبدو للناظر: أن هناك تعارضاً بين ما وجَّه به صاحبُ نظم الدرر قراءةَ ابن كثير، وبين ما قاله بعضهم: إنها للاستئناف. والحق: أن حذف الواو يوحي باستئناف الكلام، وانقطاعه لفظاً مما قبله، ولكنه لا يدل على انقطاعه معنىً، فقد توجد مناسبة بينهما، تكون أحياناً خفية، لا يُفطن لها إلا بتدبر، وإنعام نظر.

الموضع الثالث :في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[2]. والآية قبلها هي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[3]

مذاهب القراء: قرأ **ابن كثير** بغير واو قبل (قال)، وكذلك هي في مصحف أهل مكة. وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم. [4]

معاني القراءات وثمرة الخلاف:

المعنى العام للآية: جاءت الآية في سياق محاجة موسى عليه السلام لقومه، حين جاءهم بالبينات، فأنكروها، وقالوا: هذا سحر مختلق، ولم نسمع بهذا في آبائنا الأولين، فكان

[1] نظم الدرر، البقاعي،تح:عبد الرزاق غالب.دار الكتب العلمية-بيروت.ط1 سنة 2006م. ج:07، ص: ٤١٠ وما بعدها.

[2] سورة القصص-الآية 37

[3] سورة القصص-الآية 36).

[2] ابن الجزري .النشر،ج: 2 ص: 341

جواب موسى عليه السلام: ربي أعلم بالمحق من المبطل، فهو أعلم بمن بعثه بالهدى من عنده، ووعده حسن العقبى، ويعني: نفسه. إنه لا يفلح الظالمون، وهم الكفار، الذين ظلموا أنفسهم بالكفر[1]. "وهذه معارضة من نبي الله، موسى – عليه السلام – لفرعون، وجميل خطاب؛ إذ ترك أن يقول له: بل الذي غرّ قومه وأهلك جنوده وأضل أتباعه أنت لا أنا".[2]

من أثبتها: رد بها القول على ما تقدم من قولهم، ومن حذفها: جعل قول موسى منقطعاً عن قولهم[3] أي: إنه على حذف الواو، يكون جواباً مستأنفاً، كأنهم سألوا عن جوابه؛ "لأن الموضع موضع سؤال وبحث، عما أجابهم به موسى – عليه السلام – عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة: سحراً مفترىً. ووجه الأخرى: أنهم قالوا ذلك، وقال موسى – عليه السلام – هذا؛ ليوازن الناظر بين القول والمقول، ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر: [وبضدها تتبين الأشياء] [4].

❷ من مواضع الاختلاف في الفاء في القرءان الكريم

يعد حرف الفاء من الحروف العوامل، وتكون للعطف وللجواب وللزيادة . فالتي تكون :

للعطف: تفيد: الترتيب بلا مهلة، وتشرك في الحكم والإعراب، ومعناها التعقيب وتدل على السببية غالباً: إن عطفت جملة أو مفرداً صفة، نحو: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[5] "فإن عطفت مفرداً غير صفة: لم تدل على السببية، نحو: قام زيد فعمرو" [6]

تكون للجواب: تفيد: ربط الجواب، وتلازمها السببية. وقال بعضهم: والترتيب كذلك.

---

[1] انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج: ٧، ص: ١١٩، وانظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، بن مسعود الفراء البغوي، ج: 4 ص: 344.

[2] لطبري،جامع البيان.تح: عبدالله بن عبد المحسن.دار هجر للطباعة-القاهرة.ط1 سنة 2001م ج: 20 ص: 76

[3] ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع، تح:عبدا العالم سالم مكرم.دار الشروق-بيروت ط4 سنة 1981م. ص: 278

[4] الكشاف، الزمخشري، ج: 3 ص: 278 وقوله: (وبضدها تتبين الأشياء): شطر بيت مشهور للمتنبي، تمثل به الزمخشري، وأوله: وَتُذِيمُهُم وَبِهِم عَرَفنا فَضلَهُ. (انظر: ديوان المتنبي، ص: 128.

[5] سورة القصص-الآية15

[6] الرماني ,معاني الحروف،تح: عبد الفتاح شلبي.دار نهضة مصر للطباعة.القاهرة.ط2 سنة 1987م ص123-124.

تكـون زائـدة: تكـون زائـدة للتوكيـد: في خـبر كـل شـيء يحتـاج إلى صـلة، نحـو: الـذي يقـوم فلـه درهـم، ونحـو: ﴿وَمَـا بِكُـم مِّـن نِّعْمَـةٍ فَمِـنَ اللَّـهِ﴾[1] هـذا قـول كثير مـن النحـويين، وقيـل: دخلـت الفـاء في خـبر الـذي؛ لشـبه الجـزاء، فمعنـاه: أن لـه درهمـاً مـن أجـل قيامـه، ولا يجـوز: الـذي أريـد منـك فـدرهم؛ لأنـه لـيس فيـه معـنى الجـزاء وأنكـروا لهـا أقسـاماً أُخـر، لا تخـرج عـن الأقسـام الثلاثـة السابقة، عند التحقيق، كما أفاده في الجنى الداني.[2]

الموضع : في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[3]

مذاهب القراء:

قـرأ المـدنيان **وابـن عـامر**: (بمـا)، بغـير فـاء قبـل البـاء. وكـذلك، هـي في مصـاحف المدينـة والشام. وقرأ الباقون: بالفاء، وكذلك، هي في مصاحفهم [4].

معاني القراءات وثمرة الخلاف:

المعـنى العـام للآيـة: "مـا أصـابكم مـن مـرض أو عقوبـة أو بـلاء في الـدنيا، فبمـا كسـبت أيـديكم، والله – عـز وجـل – أكـرم مـن أن يُثـنّي علـيهم العقوبـة في الآخـرة، ومـا عفـا الله عـنكم في الدنيا، فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه".

وقـالوا في توجيـه القـراءتين: "إن قـدرت أن (مـا) الموصـولة: جـاز حـذف الفـاء وإثباتهـا، والإثبـات أحسـن. وإن قـدرتها الـتي للشـرط: لم يجـز الحـذف عنـد سـيبويه، وأجـازه الأخفـش، واحـتج بقولـه تعـالى:﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُـوهُمْ إِنَّكُـمْ لَمُشْـرِكُونَ﴾[5]قـال أبـو علـي الفارسـي: "وإذا كانـت صـلة، فالإثبـات والحـذف جـائزان، علـى معنيـين مختلفـين: أمـا إذا أثبـت الفـاء: ففـي

[1] سورة النحل– الآية53

[2] ينظر: المرادي، الجنى الدانيفي حروف المعاني ، تح: فخر الدين قباوة.دار الكتب–بيروت ط1 سنة 1992م. ص: 121.

[3] سورة الشورى–الآية 30

[3] النشر، ابن الجزري، ج: 2 ص: 367.

[4] **سورة الأنعام** –الآية 121

[5] ينظر: تفسير القرطبي، ج: 8 ص: 4487.

إثباتها دليل: على أن الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] فثبات الفاء دليل: على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق". قال: "فإذا لم يذكر الفاء: جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره. والأولى – إذا كان جزاءً غير جازم – أن تثبت الفاء، كقوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2] وهذا قريب في المعنى من قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [3]، أي: جزاء بعض ذلك" .[4]

ويرى صاحب الكشاف: أن إثبات الفاء: "على تضمين (ما) معنى الشرط"، وحذفها: "على أن (ما): مبتدأ، و(بما كسبت): خبرها، من غير تضمين معنى الشرط" .[5]

وعليه: على قراءة حذف الفاء: تكون (ما) – في قوله: (وما أصابكم) – بمعنى: (الذي)، في موضع رفع بالابتداء. وخبرها: (بما كسبت)، فلا يحتاج إلى فاء. وعلى قراءة إثبات الفاء: يجوز أن تكون (ما) – في (وما أصابكم) – بمعنى (الذي)، كذلك، ودخلت الفاء في خبرها؛ لما فيها من الإبهام الذي يشبه الشرط، ويجوز فيها: أن تكون بمعنى الشرط، والفاء جواب الشرط.[6]

[1] سورة البقرة-الآية 274

[2] سورة النساء –الآية 79

[3] سورة الروم –الآية 41

[4] أبو علي الفارسي، الحجة ج: 6 ص: 129.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج: 3 ص: 470.

[6] مكي، الكشف ج: 2 ص: 251.

قال في التحرير والتنوير: "فقراءة الجمهور: تُعينُ معنى عموم التسبب لأفعالهم، فيما يصيبهم من المصائب؛ لأن (ما) – في هذه القراءة – إما: شرطية، والشرط دال على التسبب، وإما: موصولة مشبَّهة بالشرطية، فالموصولية تفيد: الإيماء إلى علة الخبر، وتشبيهها بالشرطية يفيد: التسبب وقراءة نافع وابن عامر: لا تعيّن التسبب، بل تُجوزه؛ لأن الموصول قد يراد به: واحد معيّن بالوصف بالصلة، فتحمل على العموم بالقرينة، وبتأييد القراءة الأخرى؛ لأن الأصل في اختلاف القراءات الصحيحة اتحاد المعاني. وكلتا القراءتين سواء، في احتمال أن يكون المقصود بالخطاب: فريقاً معيناً، وأن يكون المقصود به: جميع الناس؛ وكذلك، في أن يكون المراد: مصائب معيّنة، حصلت في الماضي، وأن يراد: جميع المصائب التي حصلت، والتي تحصل".[1]

المطلب الثالث: اختلاف الحركة الإعرابية (الرفع والنصب)

يُعدُّ اختلاف الحركة الإعرابية في الصيغة الواحدة من أبرز ظواهر القراءات القرآنية التي استدعت توجيهاً نحوياً ودلالياً دقيقاً؛ إذ إن تغير العلامة من الرفع إلى النصب –أو العكس– لا يقف عند حدود الشكل الإعرابي، بل يمتد أثره ليعيد رسم الوظيفة النحوية للكلمة داخل السياق، مما يثري المعنى ويفتح آفاقاً جديدة للتفسير.

ونظراً لما تقتضيه طبيعة هذه الدراسة من الالتزام بحجم محدد ووفقاً للضوابط المنهجية المقررة، فقد آثرتُ الاقتصار في هذا المطلب على عرض النماذج التطبيقية الواردة في "الأسماء" دون الأفعال؛ وذلك لكون الأسماء هي الميدان الأوسع لظهور الأثر الإعرابي وتعدد وجوهه (كالاسمية والخبرية، والحالية والوصفية)، ولتجنب الإطالة والتكرار بما يضمن تقديم صورة وافية ومركزة للظاهرة المدروسة في سياق القراءات.

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 25 ص: 99 و 100.

الموضع الأول :قوله تعالى:﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[1],حيث قرأ **حفص وحمزة** لفظ (البرَّ) بالنصب، والباقون بالرفع [2].

الإشكال ووجهه:

ذكر **أبو حيان** في «البحر» أن ابن دَرَسْتَوَيه منع من تقديم خبر (ليس) على اسمها؛ لأنها تشبه (ما) الحجازية، ولأنها حرف عنده [3] .

التوجيه ورفع الإشكال:

ذهب ابن **دَرَسْتَوَيه** إلى المنع في غير موضعه، ولو قال بأن مثل ذلك قليل، لما كان معارضاً في ذلك؛ لأن علماء العربية لا يكادون يختلفون في أن مجيء توسط خبر (ليس) قليل، ومنهم أبو حيان نفسه .[4]

وأما من منع من ذلك فهو محجوج بأمرين:

- **الأول**: اتفاق علماء العربية على الجواز، والخلاف بينهم إنما هو في تقديم الخبر عليها، لا في توسطه، كما أشار إلى ذلك ابن مالك في «شرح الكافية» [5]
- **الثاني**: مجيء نظائر لها في أشعار العرب، ومن أشهرها قول السَّموأل [6]

[1] سورة البقرة–الآية177

[2] ابن الجزري, النشر. ج1 ص204.

[3] بن حبان: البحر المحيط ج2 ص4.

[4] انظر المصدر السابق، وانظر: الدر المصون 2/245.

[5] بن مالك ,شرح الكافية. ج1 ص400.

[6] البيت من شواهد ابن عقيل: 1/208، والأشموني 1/232.

سَلِي –إن جهلتِ الناس– عني وعنهمُ*** فليس سواءً عالمٌ وجهولُ**

وقول الآخر [1] :

أليس عظيماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ** وليس علينا في الخطوبِ مُعَـــــوَّلُ**

وقبل ذلك وبعده هو محجوج بهذه القراءة المتواترة .[2]

الموضع الثاني :

قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾[3] حيث قرأ **أبو جعفر** وحده بالنصب في لفظ الجلالة ﴿اللَّهَ﴾، وقرأ الباقون بالرفع .

الإشكال ووجهه:

في قراءة **أبي جعفر** إشكال من جهة المعنى والإعراب.

لأن ظاهر اللفظ يفهم أن الله –تعالى ذكره– محفوظ، والله لا يحفظه أحد ، هذا من حيث المعنى[4].

وأما الإعراب: فقد قال ابن جرير: «وقبح نصبه في العربية لخروجه من المعروف من منطق العرب، وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من أجل أن الفاعل إذا حذف لم يكن للفعل صاحب معروف» .

[1] قائله: عروة بن الورد كما في الحماسة 951/1.

[2] ابن حبان: البحر 2/4، والدر المصون 2/245.

[3] سورة النساء–الآية 34

[4] ابن الجزري: النشر 2/249.

ولقوة الإشكال فيها وجهها ابن الجزري في النشر وذكر العلّة فيها، ولم يكن له من داعٍ إلا المعنى المتقدم في منشأ الإشكال ووجهه وذكرها ابن جني في شواذ القراءات .[1]

التوجيه ورفع الإشكال:

الكلام عن موقع لفظ الجلالة وإعرابه ومعنى الجملة على قراءة النصب متعلق بالكلام على بيان معنى «ما» وإعرابها، وفيها وجوه ثلاثة يُحمل عليها توجيه القراءة:

الأول: أن تكون اسم موصول بمعنى (الذي) [2]

الثاني: أن تكون نكرة موصوفة. وفي الفعل «حفظ» ضمير يعود على «ما» في كلا الوجهين، ولابد من حذف مضاف قبل لفظ الجلالة وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: بما حفظ حق الله أو دين الله أو شريعة الله أو عهود الله، أو ما في معناه .[3]

الثالث: أن تكون «ما» مصدرية، والتقدير: بما حفظن أمر الله، أي: بحفظهن أمر الله، وحذفت النون وهو ضمير عائد على ﴿الصَّالِحَاتُ﴾.وهذا هو الوجه الذي من أجله قال ابن جرير عن هذه القراءة ما قال.

وأراد أبو حيان حلّ هذا الإشكال فقال: «والأحسن في هذا أن لا يقال: إنه حُذف الضمير، بل يقال: إنه عاد الضمير عليهن مفردًا كأنه لوحظ الجنس، فكأن الصالحات في معنى من صلح، ثم رأى أن في هذا القول تكلفًا فقال: «ولا حاجة إلى هذا القول بل ينزه القرآن عنه» .[4]فيجب القول بأحد الوجهين المتقدمين.

واعتراض ابن جرير -رحمه الله- صحيح، لكنه غير مؤثّر؛ لأن القراءة محمولة على وجه آخر صحيح.

---

[1] ابن جني : المحتسب ج1 ص188.

[2] ابن حيان .البحر المحيط ج3 ص 250.

[3] ابن جني: المرجع السابق. 1/188، وينظر: الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري (مختصر شرح الطيبة للنويري): 416.

[4] بن حبان , المرجع السابق .ج3 ص 250 .

الموضع الثالث :

قوله تعالى:﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[1]

قرأ **ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة** ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب,وقرأ الباقون بالرفع [2].

الإشكال ووجهه:

في قراءة من فتح الباء من لفظ ﴿يَعْقُوبَ﴾، إشكال إعرابي، ويتضح وجهه في أمرين:

- **الأول**: أنه لا يُدرى أمنصوب هو أم مجرور؛ لأن الفتحة في آخره يجوز أن تكون علامة نصب وجر؛ لأنه ممنوع من الصرف، وتحديد ذلك موقوف على المعنى والتقدير.
- **الثاني**: إن تبين أحد الإعرابين -الجر أو النصب- فالإشكال قائم أيضاً، وتوضيح ذلك:

أنه إن كان منصوباً فغير جيد عند كثير من أئمة النحو -كسيبويه- من أجل الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف.

هذا إذا قيل: إنه معطوف على ﴿بِإِسْحَاقَ﴾، الذي موضعه النصب.

وإن كان مجروراً فليس بجيد أيضاً عند سيبويه وموافقيه، إلا بإعادة الجار؛ لأجل الفصل بين الجار والمجرور بالظرف، وحق المجرور أن يكون ملاصقاً لحروف الجر، فلو كان الكلام -مثلاً-: فبشرناها بإسحاق ويعقوب من ورائه لم يكن في ذلك إشكال [3].

---

[1] سورة هود-الآية 72

[2] ينظر:الإتحاف, المرجع السابق, 131/2.

[3] وجه عدم جودته: أن حرف العطف نائب مناب الفعل، والعامل ههنا: الجار، فكما لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور، لا يجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه. ينظر: حاشية زاده على البيضاوي 53/3.

التوجيه ورفع الإشكال:

كشف الوجه في القراءة بالنصب وتوجيهها يتبين في الأمور الآتي ذكرها:

■ **أولاً**: كون الكلمة لا يُدرى أهي مرفوعة أم مجرورة؛ لاتفاق العلامة في الحالين لا يعد إشكالاً في الحقيقة وإن أشكل في الظاهر؛ فإن الاسم المقصور يلزم حالة واحدة بحيث لا يعرف الاسم أمرفوع هو أم منصوب أم مجرور إلا بالنظر في السياق والعوامل.

وقد يطرأ ذلك في غيره أيضاً، كما لو قال قائل: مررت بأبي وأخي معه؛ فإن لفظ (أخي) يحتمل الرفع والجر، والسياق لا يحدد أحد المعنيين، بل يحتملهما مع كون كل من المعنيين صحيحاً.

والحاصل أن الإشكال الأول –وإن بدا أنه إشكال لأول وهلة– ليس بإشكال في الحقيقة بعد التأمل والنظر.

● **ثانياً**: أما الإشكال الثاني فيندفع من وجوه:

أ– أن يقال: هو منصوب، والفتحة فيه للنصب لا للجر، والناصب محذوف دل عليه الكلام، والتقدير: ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، وهو من عطف الجملة على جملة.

ب– أن يقال: هو منصوب؛ عطفاً على محل إسحاق؛ لأن موضعه النصب، وهو كقول الشاعر [1] :

إذا ما تلاقينا من اليومِ أو غدا

وقوله [2] :

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

ومثل ذلك: قراءة من قرأ : ﴿وَحُوراً عِيناً﴾ [3]

[1] شطر بيت من الكامل، قائله: كعب بن جعيل، وهو في الكتاب ٣٤/١، والمحتسب ٣٦٢/٢، والفريد ٦٤٨/٢.

[2] شطر بيت من الوافر، قائله: عقيبة الأسدي، وهو في الكتاب 34/1 وحجة أبي علي 4/ 364–365 والعقد الفريد 61/1.

[3] سورة الواقعة–الآية 22

ج– أن يكون منصوباً؛ لأن معطوف على (بإسحاق) على تضمين بشرنا معنى وهبنا وتوهم انعدام الباء في ﴿بِإِسْحَاقَ﴾، كأنه قال: ووهبنا لها إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب على حد قول الشاعر [1]: [الطويل]

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بِبَيْنٍ غرابُها

عطف قوله: (على ناعب) على (مصلحين) بناءً على توهم وجود الباء في خبر ليس [2] ، والفرق بينه وبين الأول ظاهر.

المطلب الرابع: أثر البنية الإسنادية والتركيبية للتوكيد في القراءات القرآنية

إن التوكيد في القراءات القرآنية ظاهرةً أسلوبيةً تتجاوز مجرد تقوية المعنى، لتصبح أداةً محورية في توجيه الدلالة العقدية والبيانية. إنّ دراسة التوكيد من منظور "البنية والتركيب" تقتضي البحث في كيفية تضافر العناصر النحوية (مسنداً ومسنداً إليه) مع الهياكل التركيبية (من تقديم وتأخير وحصر وصيغ صرفية) لإبراز معانٍ دلالية تتفاوت بتفاوت القراءة. فكل قراءة قرآنية تقدم بنية إسنادية أو تركيبية خاصة، تعيد ترتيب الأولويات التوكيدية في الآية، مما يجعل التوكيد متغيراً بحسب الوظيفة النحوية والمقام السياقي والدلالي .

1.أثر التوكيد في البنية الإسنادية (تحولات الفاعلية والمفعولية):

تُعدّ البنية الإسنادية الهيكل الصلب الذي تقوم عليه الجملة العربية، حيث يتشكل المعنى من خلال إسناد الفعل إلى فاعله أو ما ينوب عنه. وفي القراءات القرآنية، نلاحظ أن التغير في "جهة الإسناد" عبر تبادل الحركات الإعرابية (الرفع والنصب) ليس مجرد تنوع لهجي، بل هو عدول تركيبي مقصود لإحداث توكيد دلالي مغاير. إن رفع أحد الاسمين دون الآخر يمنحه مركزية "الفاعلية"، مما يجعله بؤرة التوكيد في الآية.

[1] البيت للأخوص الرياحي، كما في كتاب سيبويه 165/1.

[2] ينظر: الكشاف 395/2 وحاشية الشيخ زاده على البيضاوي 35/3

الموضع الأول :

قوله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] قرأ الجمهور برفع " آدم " ونصب " كلمات " وقرأ ابن كثير بنصب " آدم " ونصب " كلمات " كما يقول صاحب الشاطبية في ألفيته :

وآدم فارفع ناصبا كلماته بكسر وللمكي عكس تحولا (متن الشاطبية باب فرش الحروف سورة البقرة)

فهنا نجد تغايراً إسنادياً مؤثراً في درجة التوكيد حيث :

في قراءة الجمهور: جاءت البنية الإسنادية مؤكدة لـ "فاعلية آدم" وسعيه للتوبة، فالفعل مُسند إليه حقيقةً، مما يؤكد صدق الانكسار والطلب .[2]

وفي قراءة ابن كثير انقلبت البنية الإسنادية ليكون التوكيد منصبّاً على "الكلمات" الربانية؛ فهي التي أدركت آدم ولحقته لتكون سبباً في توبته. ويرى النحاة أن هذا العدول التركيبي يؤكد "سعة الرحمة الإلهية" التي تسبق جهد العبد وتتداركه.[3]

الموضع الثاني :

قوله تعالى ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [4]

القراءات الواردة : قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي " سُعِدوا " بالبناء للمفعول , وقرأالباقون من العشرة " سَعِدوا " بالناء للفاعل.5

---

[1] سورة البقرة الآية 37

[2] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 72.

[3] الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد نجاتي ومحمد النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، ج1، ص 27.

[4] سورة هود الآية 108

[5] ابن الجزري. النشر, 290/2.

يمثل الانتقال من "البناء للمعلوم" إلى "البناء للمفعول" نوعاً من العدول التركيبي.وهذا العدول في الآية الكريمة ليس مجرد تنوع صوتي، بل هو استراتيجية توكيدية تهدف إلى :

- **توكيد "الفعل" على حساب "الفاعل" (في قراءة سُعِدُوا – بالضم**(عندما نُسند الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، فإن البنية التركيبية تُحدث "إزاحة" للفاعل المعلوم (الله عز وجل) لإفساح المجال لبروز "**الحدث ذاته** ."ويرى الدكتور علي الحربي أن هذا النوع من الإسناد يؤكد " حتمية الإسعاد" ؛ فالسعادة هنا ليست اختياراً من العبد، بل هي قضاء مبرم أُحيط به السعداء [1]. التوكيد هنا "خارجي المصدر"، مما يعطي راحة للمؤمن بأن سعادته مستمدة من قوة قاهرة لا تتبدل.
- **توكيد "الملازمة الذاتية" (في قراءة سَعِدُوا – بالفتح**عندما يأتي الفعل مسنداً للفاعل (الذين سَعِدوا)، تتحول البنية من "متعدية بالمعنى" إلى "لازمة بالصيغة". يشير الفراء في (معاني القرآن) إلى أن العرب تقول: "سَعِدَ الرجل" إذا صار ذا سَعْدٍ، كما تقول "شَقِيَ" إذا صار ذا شقاوة [2]. التوكيد هنا ينصبّ على "ثبات الصفة في الذات."البنية التركيبية بالفتح تؤكد أن السعادة أصبحت طبيعة جوهرية في أهل الجنة، لا تنفك عنهم، وفي هذا توكيد لـ "**الأبدية** "بطريقة لسانية صرفة.

المقابلة التركيبية في التوكيد عبر "التناسب السياقي"

من أوجه العمق في التحليل اللساني لهذه الآية هو ربطها بما قبلها: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

[1] علي الحربي، توجيه مشكل القراءات الفرشية في لغة العرب ومعاني القرآن، مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ، ص 275.

[2] الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد نجاتي ومحمد النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، ج2، ص 31.

- **بنيـة المقابلـة**:نلاحـظ أن القـرآن اسـتخدم (شَـقُوا) في جانـب أهـل النـار بالإجمـاع، بينمـا اختلـف القـراء في (سُـعِدوا/سَـعِدوا) فيقـول الـدكتور علـي الحـربي[1] : أن قـراءة الفـتح (سَـعِدوا) جـاءت لتُشـاكل (شَـقُوا) في البنيـة التركيبيـة (فعـل مـاضٍ مبـني للمعلـوم في الطـرفين)، وهـذا النـوع مـن التوكيـد يُسـمى **"توكيـد المزاوجـة والمشـاكلة."**أمـا قـراءة الضـم (سُـعِدوا) فقـد عُـدل بهـا عـن المشـاكلة لتوكيـد معـنىً عقـدي أدق، وهـو أن الشـقاوة كانـت بظلـم أنفسـهم (فأُسـند الفعـل إليهم)، بينما السعادة كانت بفضل ربهم (فبُني الفعل للمفعول لبيان جهة المنح). [2]

2.التوكيد عبر البنية التركيبية للصيغ الصرفية (هيئة الفعل):

قولـه تعـالى :حـتى إذا اسـتيئس الرسـل وظنـوا أنهـم قـد **كُـــذّبوا** جـاءهم نصـرنا فننجـي مـن نشاء....

أ **قـــرا الجمهـــور كُـــذِّبُوا**:(بضـم الكـاف وتشـديد الـذال المكسـورة. وهـي قـراءة نـافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

ب قراءة عائشة وابن عباس وابن كثير (كُذِبُوا :(بضم الكاف وتخفيف الذال المكسورة .[3]

يبرز التوكيد في هذا الموضع من خلال "التضعيف" مقابل "التخفيف" في بنية الفعل، وهو ما يُعرف في اللسانيات بـ:"التوكيد بالصيغة ."إن الانتقال من البناء المخفف إلى البناء المشدد يُحدث نقلة دلالية تؤكد نفاذ وقوع الفعل أو شدته، وهو ما يوجهه العلماء بناءً على السياق النفسي والمقامي للرسل عليهم السلام.

في قـراءة الجمهـور نجـد أنالتوكيـد لشـدة التكـذيب وتكـراره حيـث تـأتي صـيغة "التفعيـل" (المضـعفة) مـن أجـل بي ان المبالغـة والكثـرة في التكـذيب الواقـع مـن الأمـم علـى الرسـل.بينمـا

[3]الحربي، توجيه القراءات, المرجع السابق، ص 276.

[1]الزمخشري، :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج2، ص 432.

[2] ابن زنجلة، :حجة القراءات، المرجع السابق. ص 356.

في البنيـة المخففـة " كُـذبوا " فهـذا توكيـد يـدل علـى وقـوع الظـن في الـنفس وهـي بنيـة إسـنادية مبنية للمفعول من (كذبه)، ويمكن أن نحمل الأوجه المذكورة في القرائتين على النحو الآتي :

- إن التشـديد في (كُـذِّبوا) هـو توكيـد لـ "اسـتيعاب التكـذيب"؛ أي أن الرسـل أيقنـوا أن قومهم قد كذبوهم تكذيباً لا رجعة فيه، واستيئسوا من إيمانهم.[1]
- أثـر التوكيـد هنـا في التشـديد خـارجي (مـن القـوم للرسـل)، والزيـادة في بنيـة الفعـل بالتشـديد جـاءت لتوكيـد "بشـاعة موقـف الأمـم "وإصـرارهم علـى رد دعـوة الرسـل، ممـا اسـتدعى نـزول النصر في لحظة اليأس.
- يعتـبر **ابـن زنجلـة** في كتابـه " حجـة القـراءاة : ....بأنهـا تؤكـد "عظـم الابـتلاء "الـذي حـل بالرسل؛ حيث ظنوا (بمعنى توهموا في لحظة ضيق بشري) أن الوعد بالنصر قد تأخر عنهم [2]

[1] الحربي، :المرجع السابق ، ص 292.

[2] ابن زنجلة، :حجة القراءات، المرجع السابق. ص 357

المبحث الثاني : أثر القراءات في إعادة تشكيل البنية النحوية في النص القرآني

المطلب الأول : أثر البنية الإسنادية في دلالة الفعل والفاعل (الاختلاف الدلالي)

تحتل البنية الإسنادية الركن الأكبر في البناء النحوي إذ عليها تترتب المقاصد زتحدد المعاني والأوجه , ومن خلال استقراء القراءات القرآنية في جانبها التطبيقي نلحظ أن التغير في البنية (الفعل والفاعل) ليس مجرد اختلاف شكلي , بل تحول جوهري يعيد توجيه وتكيل القاعدة النحوية لخدمة السياق الدلالي, وسنقف على نماذج مختارة تكشف كيف ساهم تنوع القراءات في إثراء المعنى سواء عبر التحول بين البناء للمعلوم والمجهول , أو في مطابقة التذكير والتأنيث أو في ظاهرة الالتفات الإسنادي .

❶ التحول الإسنادي بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول

ويتمثل في انتقال الإسناد من الفاعل إلى المفعول به الذي حل محل الفاعل، مما يغير وجهة الحدث من "المُحدث" إلى "الحدث ذاته". ومن أمثلة ذلك :

◂ **الموضع الأول** : قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[1].

✍ **رواية القراءات الواردة :**

قرأ الجمهور بضم القاف وكسر الضاد ﴿وقُضِيَ﴾ على بناء الفعل لما لم يسمَّ فاعله، بينما انفرد أبو جعفر وشيبة بن نصاح بفتح القاف والضاد ﴿وقَضَى﴾ على البناء للمعلوم.[2]

---

[1] سورة البقرة-الآية 210

[2] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص226.

✍ **التوجيه النحوي:**

في قراءة الجمهور، يرتفع لفظ (الأمرُ) على أنه نائب فاعل. أما في قراءة أبي جعفر، فينصب (الأمرَ) على أنه مفعول به، والفاعل مستتر تقديره "هو" يعود على لفظ الجلالة (الله) المذكور في صدر الآية.[1]

✍ **الأثر الدلالي:**

قراءة البناء للمعلوم تُبرز "عظمة الفاعل" وهو الله، فالقضاء لا يقع إلا بقدرته ومشيئته. أما البناء للمجهول، فيفيد "حتمية الوقوع" وقطع الأمل في التغيير؛ لأن حذف الفاعل هنا ينقل التركيز إلى النتيجة النهائية وهي الفراغ من الأمر واستقراره كونياً.[2]

◀ **الموضع الثاني** : قوله تعالى:﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحنه وتعالى عما يُشْرِكُونَ﴾[3].

✍ **رواية القراءات الواردة**

قرأ **حمزة والكسائي** بالتاء ﴿تشركون﴾على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء ﴿يشركون﴾ على الغيبة، وقرئ شذوذاً بضم الياء وفتح الراء ﴿يُشْرَكُون﴾ بالبناء للمجهول .[4]

✍ **التوجيه النحوي**

في البناء للمجهول، الواو ضمير في محل رفع نائب فاعل.

✍ **الأثر الدلالي**

البناء للمجهول هنا يسلب المشركين "أهلية الفعل"، فكأن الشرك وقع منهم بتبعيتهم العمياء دون وعي، أو للتنزه عن ذكر الفاعل في مقام الذم.

---

[1] العكبري، التبيان في إعراب القرآن،تح: علي محمد البجاوي.دار إحياء الكتب العربية– القاهرة د ط .سنة 1976م. ج1، ص181.

[2] الزمخشري، المصدر السابق، ج1، ص254.

[3] سورة النحل–الآية01

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص510.

◄ **الموضع الثالث** : قوله تعالى:﴿**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾(سورة القيامة- الآية09)

✍ **القراءات الواردة**

قرأ الجمهور بالبناء للمجهول ﴿وجُمِعَ﴾ وقرأ ابن عباس بفتح الجيم والميم ﴿وجَمَعَ﴾ بالبناء للمعلوم. [1]

✍ **الأثر الدلالي**

في المعلوم (جَمَعَ) الفاعل مستتر يعود على الله، وهو بيان للقدرة. أما في المجهول (جُمِعَ) فالغرض تهويل المشهد يوم القيامة، حيث تظهر النتيجة (الجمع) كآية باهرة تُذهل الأبصار دون انشغال بغيرها.[2]

❷ **أثر التذكير والتأنيث في العلاقة الإسنادية**

وهو ما يتعلق بمطابقة الفعل لفاعله نوعاً، وما يترتب على ذلك من إشارات دلالية حول جنس الفاعل أو عدده.

ومثال ذلك قوله تعالى:

◄ **الموضع الأول** فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

✍ **رواية القراءات الواردة**

قرأ الجمهور بالتاء ﴿فنادته﴾، وقرأ **حمزة والكسائي** بترك التاء بالتذكير (فناداه).[4]

---

[1] العكبري، المصدر السابق، ج2، ص125.

[2] نفسه.

[3] **سورة آل عمران**-الآية 39

[4] ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص210.

التوجيه النحوي

من أنَّث الفعل ذهب إلى أن الفاعل (الملائكة) جمع تكسير، وجمع التكسير يجوز فيه التأنيث بتقدير (جماعة الملائكة). ومن ذكر الفعل ذهب إلى تقدير (جمع الملائكة) أو لكون تأنيث الملائكة غير حقيقي.[1]

الأثر الدلالي: التأنيث في ((فنادته)) يوحي بالكثرة والاجتماع والإحاطة بزكريا عليه السلام (صيغة الجماعة)، بينما التذكير في ((فناداه)) يركز على "أصل الفعل" وجدية النداء، أو فيه إشارة إلى أن المنادي هو جبريل عليه السلام بصفته رئيساً للملائكة.[2]

أثر تغير الفاعل (الالتفات من الخطاب إلى الغيبة)

وهو انتقال الإسناد من ضمير حاضر مواجه إلى ضمير غائب، مما يسهم في تنويع المقاصد التربوية والبيانية. ويظهر هذا جليا في قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فلنوليكن قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾[3]

رواية القراءات الواردة

قرأ **ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع** بالياء ((يعملون)) على الغيب، وقرأ الباقون بالتاء ((تعملون)) على الخطاب.[4]

[1] أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج3، ص58.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص469.

[3] سورة البقرة–الآية 144

[4] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص124.

✍ **التوجيه النحوي**

القراءة بالتاء تسند الفعل لضمير المخاطبين الحاضرين (الفاعل هم المواجهون بالكلام)، والقراءة بالياء تسنده لضمير الغائبين المذكورين سابقاً في السياق.

✍ **الأثر الدلالي**

الخطاب في " تعملون " فيه مواجهة مباشرة تقتضي الحذر والرقابة اللحظية. أما الغيبة في "يعملون" ففيها دلالة على العموم والشمول لكل من اتصف بصفاتهم في كل زمان، كما أن فيها نوعاً من الإعراض عنهم توبيخاً.[1]

◀ **الموضع الثاني** : قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[2].

✍ **رواية القراءات الواردة**

قرأ الجمهور بالتذكير (وأخذ) ، وقرأ أبو جعفر بالتأنيث (وأخذت) [3]

✍ **التوجيه النحوي**

فصل بين الفعل وفاعله المؤنث (الصيحة) بالمفعول به، مما سوغ التذكير.

✍ **الأثر الدلالي**

التذكير (أخذ) يراعي معنى "العذاب" أو "الصوت"، وهو أنسب لمقام الشدة والعنف في العقاب، أما التأنيث فيراعي لفظ (الصيحة).[4]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص22

[2] سورة هود–الآية67

[3] النحاس، إعراب القرآن.تح: عبد المنعم خليل ابراهيم.دار الكتب العلمية–بيروت.ط1 سنة 2001م. ج2، ص118

[4] المصدر السابق.ج2 ص 119

❸ أثر تغير الفاعل (الالتفات الإسنادي)

يرصد هذا الجانب تغير مرجع الإسناد (من مخاطب إلى غائب أو العكس) وأثر ذلك في نقل المشهد النفسي والبياني. ومن جملة الأمثلة نذكر مايلي :

◀ **الموضع الأول** : : قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

✍ **رواية القراءات الواردة**

قرأ ابن عامر بالياء (يعملون)، والباقون بالتاء (تعملون).[2]

✍ **الأثر الدلالي**

الخطاب (بالتاء) يقتضي الحث المباشر على الإخلاص في الإنفاق، والغيبة (بالياء) تخرج المخرج الإخباري العام عن أحوال المنفقين. [3]

✍ **الموضع الثاني**: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾[4]

✍ **القراءات الواردة**

وردت فيها قراءة واحدة في المتواتر، لكنها أصل في "باب الالتفات الإسنادي".

✍ **التوجيه النحوي**

تحول الفاعل من ضمير المخاطب (كنتم) إلى ضمير الغائب (بهم).

---

[1] سورة البقرة–الآية 265

[2] ابن زنجلة ، حجة القراءات، ص124.

[3] علي الحربي , توجيه مشكل القراءات الفرشية , المصدر السابق , ص 141

[4] سورة يونس–الآية 22].

✍ الأثر الدلالي

الالتفات هنا من الخطاب إلى الغيبة غرضه "الإبعاد"؛ فكأنهم لما أشركوا وعصوا بعد النجاة، أعرض الله عن خطابهم وحكى حالهم للآخرين تعجيباً من فعلهم. [1]

المطلب الثاني: أثر البنية العطفية في تخصيص الحكم أو تعميمه

تسهم بنية العطف في النص القرآني باعتبار كونه "مفتاح تداولي" يعيد رسم حدود الحكم الشرعي. فالقراءات القرآنية حين تتدخل في بنية العطف (بالرفع أو النصب أو الجر، أو حتى بتغيير حرف العطف)، فإنها لا تغير النطق فحسب، بل تنقل الحكم من دائرة "الخصوص" إلى "العموم" أو العكس، وهو ما يجعل من البنية العطفية بنية مرنة تتسع وتضيق تماشياً مع مقاصد التنزيل.

I. بنية العطف "العام": الشمول الاستغراقي وأثر القراءات في اتساع دلالة مفهوم الحكم

يتحقق "العطف العام" عندما تعمل الأداة العاطفة على صهر المعطوف والمعطوف عليه في بوتقة حكم واحد لا يقبل التجزئة، أو عندما يجيء العطف لرفع التوهم بخصوصية فرد دون آخر.

- **التعميم عبر "الواو" الجامعة وإشكالية المغايرة:**

في قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا**

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير.الدار التونسية –تونس.دط.سنة 1984. ج11، ص134.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] .

هنا نجد أن القراءة بالنصب في قوله "وَأَرْجُلَكُمْ" **(وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص)** تعطف الأرجل على الوجوه والأيدي (المغسولات)، مما يمد حكم " الغسل " ليشمل الرجلين عموماً. أما قراءة الجر (ابن كثير وأبو عمرو وحمزة) فقد توهم بخصوصية "المسح". بيد أن البنية العطفية هنا، عند التحقيق، تهدف إلى " تعميم الطهارة " لكل الأعضاء المذكورة مع تنويع الكيفية، فالواو جعلت من غسل الأعضاء ومسحها وحدة تشريعية واحدة لا تتجزأ، وهو ما يسميه ابن عاشور " العموم النسقي" الذي يجمع الشتات في حكم كلي.[2]

- **التعميم الاستغراقي بعطف التنوع:**

يبرز أثر العطف في تعميم الوعيد أو الوعد من خلال عطف المتغايرات التي تشكل جنساً واحداً، كما في قوله تعالى ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**﴾[3]

العطف بالواو هنا نقل نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصية " الولاية الإلهية " إلى عموم " النصرة الكونية " (جبريل، المؤمنين، الملائكة). فهذا الحشد العطفي ليس للتعداد، بل هو لإفادة "عموم المظاهرة"؛ فكل معطوف أضاف قوة جديدة للحكم السابق، مما يجعل الحكم بالظهيرة عاماً ومطبقاً من كل جهات الملكوت، وهذا ما يؤكده السمين الحلبي بأن العطف هنا يراد به "الاستغراق الحقيقي" لجهات النصرة.[4]

---

[1] سورة المائدة–الآية06

[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج6، ص 130.

[3] سورة التحريم–الآية04

[4] الحلبي . الدر المصون. تح:أحمد محمد الخراط.دار القلم–دمشق.د ط .سنة 1986م ج10، ص 432.

- **التعميم بـ "أو" في سياق الإباحة المطلقة:**

قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1].

- **التحليل النحوي والأثر**

إن تكرار "أو" العاطفة في هذه الآية الطويلة هو "عطف تعميمي" يهدف إلى استيعاب كافة الروابط الاجتماعية. هنا "أو" ليست للشك ولا للتخيير المانع للجمع، بل هي لتعميم الإباحة في كل فرد من هذه المذكورات حيث نجد في هذا الصدد أن الأندلسي [2] يذكر (أن بنية العطف هنا "سدت مسد لفظ (كل)"، فكأنه قال: "مباح لكم الأكل من كل هذه البيوت". فالعطف هنا نقل الحكم من خصوصية بيت الرجل إلى عموم بيوت القرابة والصلة.

- **التعميم بالواو في "عطف الصفات" للذات الواحدة:**

مثال ذلك قوله تعالى:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾[3]

[1] سورة النور-الآية 61

[2] ابن حبان , البحر المحيط، ج6، ص 432

[3] سورة الأعلى-الآية 1-4

التحليل النحوي والأثر

العطف بالواو هنا بين الصفات المتمثلة في الأفعال (خلق، قدر، أخرج) يؤدي وظيفة "التعميم الاستدلالي". **كل فعل معطوف هو دليل مستقل يعمم صفة الربوبية على كل تفاصيل الكون (الإنسان، النبات، القدر).وهذا ما يشير إليه الزمخشري حيث يقول** :...." أن الواو هنا جعلت من كل صفة معطوفة حكماً عاماً قائماً بذاته، لتجتمع في النهاية في تعميم وجوب التسبيح لله الخالق لكل شيء " .[1]

بنية العطف "الخاص": التقييد الحصري وأثر القراءات في تضييق دلالة مفهوم الحكم

على النقيض من التعميم، يبرز العطف كأداة "تخصيص" شديدة الدقة، حيث يتم عزل بعض الأفراد بحكم مستقل أو إبرازهم من بين العموم لغرض تشريعي محدد.

- **التخصيص بالذكر بعد العموم (عطف التفريد):**

في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [2]

- **التحليل النحوي والأثر**

إن كلمة " الصلوات " لفظ عام يشمل الصلوات الخمس ,وعطف " الصلاة الوسطى "عليها بالواو يقتضي نحويا المغايرة لكنها هنا مغايرة تفريد لا مباينة, ففي قراءة حفصة وعائشة وأبي بن كعب رضي الله عنهم وهي قراءة تفسيرية بيانية : " **والصلاة الوسطى صلاة العصر**" , **فهذا** العطف المخصص نقل الحكم من الوجوب العام للمحافظة على كل الصلوات الى الوجوب المخصوص والتأكيد على هذه الصلاة تحديدا ويذكر صاحب

[1] الزمخشري, الكشاف، ج4، ص 738

[2] سورة البقرة-الآية 238

أحكام القرآن أن هذا أفاد تخصيصا في تغليظ الإثم لمن تركها ومضاعفة الأجر لمن حافظ عليها وهذا الذي أخرجها من رتبة التساوي مع بقية العطف العام.[1]

- **التخصيص الترتيبي بـ "أو" في العقوبات:**

في آية الحرابة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]هنا نجد أن "أو" العاطفة أثارت جدلاً عريضاً بين العموم (التخيير) والخصوص (الترتيب). فبينما يراها البعض للتعميم التخييري (للإمام أن يختار)، ذهب ابن عباس ومعه كثير من الفقهاء (كما وثقه الجصاص في أحكام القرآن، ج4، ص 45) إلى أن العطف بـ "أو" هنا هو "عطف تخصيص بالحال"؛ أي أن كل عقوبة مخصصة بجريمة محددة (القتل للقاتل، والقطع للسارق.. إلخ). فالقراءة هنا لم تغير الحرف، ولكنها غيرت "الوظيفة النحوية" للأداة من التخيير المطلق إلى التوزيع المخصص، مما أعاد هندسة العقوبة من حكم عام "هلامي" إلى أحكام خاصة "منضبطة".

- **تخصيص "المنكر والبغي" من عموم الفحشاء:**

مثال هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

[1] أبو بكر الجصاص. أحكام القرآن , ج2, ص109

[2] سورة المائدة–الآية 33

[3] سورة النحل–الآية 90

- **التحليل النحوي والأثر**

"الفحشاء" لفظ عام يستغرق كل قبيح، لكن العطف بالواو أفرَدَ **"المنكر والبغي" بالذكر. هذا التخصيص العطفي يهدف إلى** "تجزئة التحذير"؛ فالفحشاء قد تكون بين العبد ونفسه، بينما المنكر والبغي يمتدان لتدمير النسيج الاجتماعي.

يشير الطاهر بن عاشور [1] إلى أن هذا العطف هو من باب "التنصيص على الأهم"، فالعموم في "الفحشاء" قد يجعل الذهن ينصرف إلى كبائر معينة، فجاء عطف "البغي" (الظلم) ليخصص حكماً اجتماعياً زاجراً يمنع تعدي الأفراد على بعضهم، وهو تخصيص غرضه "التهويل" من شأن المعطوف رغم دخوله في المعطوف عليه.

إن المتأمل في هذه المسالك يدرك أن البنية العطفية في القرآن الكريم تعمل وفق نظام " الإزاحة الدلالية "؛ ففي الوقت الذي يتوهم فيه القارئ أن العطف مجرد إضافة، تأتي القراءة لتنوع وتكشف أن هذه الإضافة إما أنها تفتح الأرضية لآفاق الحكم ليتسع ويعمَّ الزمان والمكان والأشخاص، وإما أن تضيقه وتقيده ككتلة مستقلة بارزة تحث على فرد أو حالة بعينها يرجى الانتباه اليها. وبذلك يتجاوز النحو في النص القرآني حدود " قواعد الإعراب " ليكون أداة فاعلة في " صياغة الأصول "، حيث يصبح الحرف العطفي معياراً في استنباط الكليات والجزئيات، وفي حصر الدلالة أو تعميمها.

[1] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج14، ص 261.

المطلب الثالث: أثر بنية التخصيص والتوكيد في تجليات الدلالة في القراءات القرآنية

❶ تجليات الدلالة في بنية التخصيص

- **التخصيص بتقديم ما حقه التأخير:**

◂ **المثال الأول** : قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] **القراءات الواردة والإشكال**

قرأ الجمهور بكسر الهمزة وتشديد الياء (إِيَّاكَ) [2] , **وقرأعمرو بن فايد** بفتحها (أَيَّاكَ) [3], فوجه الإشكال أن فيه توهم في أن التقديم لمجرد رعاية الفاصلة القرآنية (رؤوس الآيات) , ولرفع هذا الإشكال فإن التقديمه هنا يفيد "قصر الإفراد" للعبادة؛ لبيان أن المعبود هو المنطلق الأول والوحيد للعمل.

يقول **الزمخشري** : " تقديم المفعول لقصد الاختصاص، ومعناه: نعبدك ولا نعبد غيرك" [4]

وانطلاقا من هذا الاستشهاد يبدو أن التقديم يمثل إعلاناً لاستقلال العبد عن كل قوة أرضية قبل الشروع في الفعل، فهو تحرير للذات من الأغيار.

◂ **المثال الثاني:** ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[5]

القراءات الواردة

---

[1] سورة الفاتحة-الآية05

[2] ابن الجزري، النشر، ج2، ص211

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص24

[4] الزمخشري .الكشاف، ج1، ص67

[5] سورة الروم-الآية04

أجمع القراء على تقديم الجار والمجرور (لِلَّهِ) .[1]

وجه الإشكال

قد يُظن أن التقديم للاهتمام بلفظ الجلالة لا لحصر الحكم فيه ولكن التقديم هنا لرد دعاوى المشركين وتخصيص السلطان المطلق لله وحده في الماضي والمستقبل. وفي هذا يقول الأندلسي : " تقديم الخبر يفيد الحصر، أي: له لا لغيره نفوذ المشيئة "[2]

ومما يبدو لي أن هذا التخصيص يمنح المؤمن طمأنينة وجودية؛ إذ يحصر خيوط القدر في يد الخالق المحسن وحده.

- **. التخصيص بضمير الفصل وتعريف الطرفين**

المثال الأول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3]

القراءات الواردة

قرأ الجمهور بإثبات (هُوَ) وقرأ ابن محيصن بحذفه .[4]

وجه الإشكال

توهم بعض النحاة والمفسرين أن "هو" مبتدأ ثانٍ قد يشتت الدلالة عن الخبر الأصلي .

رفع الإشكال

بنية الفصل تقطع احتمال كون الخبر صفة، وتفيد حصر "الرزق الحقيقي" في الله وحده حيث يستشهد لذلك بقول الحلبي : " فائدته الاختصاص والتوكيد ودفع توهم الصفة فيما بعده ".[5]

---

[1] ابن الجزري، النشر، ج2، ص344

[2] ابن حيان . البحر المحيط، ج8، ص340.

[3] سورة الذاريات: 58

[4] ينظر: ابن جني، المحتسب.تح:علي النجدي ناصف وآخرون دار الكتب–القاهرة.ط1 سنة 1999م ج2، ص288

[1] الحلبي. الدر المصون . ج10، ص114)

وبالجملة يكمننا القول أن بنية الفصل هنا تعمل كصمام أمان عقدي يغلق أبواب الخوف من انقطاع الأرزاق بربطها بالرزاق وحده.

المثال الثاني: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] [سورة البقرة–الآية 05]

القراءات الواردة

أجمع القراء على إثبات ضمير الفصل (هُمُ) [2]

وجه الإشكال :

هل هنا الفلاح محصور في المؤمنين حصراً يمنع فلاح غيرهم في الدنيا ؟

رفع الإشكال

التعريف بضمير الفصل يفيد قصر "الفلاح الناجز والمطلق" على هؤلاء المؤمنين دون سواهم . ويقول الزمخشري : " دخلت (هم) لتفيد أن الفلاح مقصور عليهم، لا يتخطاهم إلى غيرهم" [3]

ومما سبق قد يتضح لنا أن التخصيص هنا يفيد في كونه تحصيل الشرف للمؤمنين بربط الفلاح بهويتهم الإيمانية، مما يجعله فلاحاً متميزاً عن مجرد النجاح المادي .

❷ تجليات الدلالة في بنية التوكيد

- **التوكيد بنوني التوكيد**

المثال الأول:قوله تعالى ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[4]

[1] سورة البقرة–الآية 05

[3] ينظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص214

[4] الزمخشري : الكشاف، ج1، ص42.

[4] سورة العلق–الآية 15

القراءات الواردة

قرأ الجمهور بالنون الخفيفة.وقرأ ابن محيصن في القراءات الشواذ بالنون الثقيلة " لنسفعنّ" [1]

وجه الإشكال

توهم أن نون التخفيف تضعف من هول الوعيد مقارنة بالثقيلة.

رفع لإشكال

الخفيفة توحي بسرعة الوقوع وتحقير شأن المسفوع به؛ فهو أهون من أن يُشدد عليه. ومن الأقوال التي احتج بها " النون الخفيفة أبلغ في التحقير للمسفوع بناصيته " [2]. ومانراه هنا أن الجمع و التآزر بين القراءتين يجمع بين حتمية العقاب وسهولة تنفيذه على القادر سبحانه.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[3]

القراءات الواردة

قرأ الجمهور بالنون الثقيلة، وقرئ شاذاً بالتخفيف .[4]

وجه الإشكال

لماذا أُكد الابتلاء بنون التشديد وهو أمر مكروه للنفس ؟

رفع الإشكال

التوكيد هنا لتوطين النفس وتهيئتها للصبر قبل وقوع المحنة؛ لئلا تفاجأ فترتعد.[5]

---

[2] مكيبن حموش القيرواني،" الكشف عن وجوه القراءات " تح: محي الدين رمضان.الرسالة–بيروت ط3 سنة 1984م .ج2، ص381.

[3] الفارسي . الحجة، ج6، ص442

[3] **سورة آل عمران**-الآية 186

[5] ابن خالويه، إعراب القراءات، ج1، ص364

[1] الحربي , المصدر السابق , ص 265.

يقول القرطبي : " أكد بالنون واللام ليعلموا أن الابتلاء لا بد منه، فيستعدوا بالصبر" [1]

ومما يبدو لي أن بنية التوكيد هنا رحمة تربوية تمهد للنفس البشرية قبول أقدار الله بالثبات والرضا.

- **. التوكيد بالمصدر (المفعول المطلق)**

المثال الأول : قوله تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2]

القراءات الواردة

إجماع القراء على نصب (حُبًّا) [3]

وجه الإشكال : هل يحتاج الحب (وهو شعور مستقر) إلى توكيد بالمصدر؟

رفع الإشكال : إن التوكيد جاء لبيان " التمكن المفرط " للمال في سويداء القلب، وهو توكيد في سياق الذم.بحث يرى صاحب الكشاف أن ذكر المصدر متبوعا بصفة لتوكيد الإفراط في المحبة والحرص[4]

المثال الثاني : ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[5].

القراءات الواردة

إجماع القراء على نصب (رَجًّا) .[6]

وجه الإشكال : ألا يكفي الفعل "رجت" لتصوير الزلزال الأخروي ؟

رفع الإشكال : المصدر يؤكد "عظمة الاهتزاز" وكونه خارجاً عن المألوف البشري تماماً حيث يعدَّ " التوكيد بالمصدر لبيان فخامة الفعل وتحققه بصورة هائلة" [1]

---

[2]لقرطبي .الجامع، ج4، ص300.

[2]سورة الفجر:الآية 20

[4]ينظر: الطبري، جامع البيان، ج30، ص245.

[5]الزمخشري .الكشاف، ج4، ص751.

[5]سورة الواقعة الآية :

[1] ينظر, ابن الجزري , النشر ، ص458 بتصرف.

ومما يترجح لنا أن التوكيد بالمصدر هنا ينقل المشهد من مجرد "خبر ذهني" إلى "صورة حسية" مفزعة تخلع القلوب .

- **التوكيد بالحروف الزائدة**

المثال الأول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2].

القراءات الواردة

إجماع القراء على إثبات (الباء) .[3]

وجه الإشكال

توهم أن نفي المبالغة (ظلام) لا ينفي أصل الظلم (ظالم).

رفع الإشكال

الباء تؤكد نفي النسبة؛ أي نفي وقوع " أقل" قدر من الظلم من الخالق ودخلت الباء لتوكيد النفي، والمعنى: ليس بظالم قط.[4]. واعتبارا من هذا القول نقول أن الباء ما هي إلا"بنية أمان" تعزز يقين العبد في عدالة القضاء الإلهي المطلقة.

المثال الثاني: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [5]

القراءات الواردة

إجماع القراء وحتى في القراءات الشاذة على إثبات (الكاف) [6]

وجه الإشكال

اجتماع "الكاف" و"مثل" وهما للتشبيه يقتضي نفي "مثل المثل".

---

[2]ابن حبان ,البحر المحيط، ج9، ص661

[2]سورة فصلت–الآية 46

[4]ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة، ص581.

[5]القرطبي ,لجامع، ج15، ص364.

[5]سورة الشورى: 11

[2]ينظر: الداني، التيسير، ص194

رفع الإشكال

الكاف زائدة لتوكيد نفي المماثلة من أساسها آكد وجه لغوي بحيث زيدت لتمكين النفي وتأكيده في صفات التنزيه" [1]

ومما يبدو أن هذه البنية هي الدرع اللغوي الذي يحمي عقيدة التنزيه من شوائب التجسيم .

وما يلخص إليه في الأخير أن التخصيص والتوكيد في القراءات القرآنية لايعملان كشيء مستقل ومنعزل، بل هما " تآزر بنيوي" يحقق أقصى درجات الإحكام الدلالي وذلك تحقيق مايلي :

أ **دفع الاحتمال والشركة** : التخصيص يمنع "شركة الغير" في الحكم، والتوكيد يمنع "احتمال المجاز" في اللفظ. فعندما تجتمع البنيتان (كما في "إياك نعبد")، يصبح النص حصناً دلالياً لا يقبل التأويل البعيد.

ب **التناسب السياقي** : أن اجتماع التخصيص والتوكيد في مقام الثناء والعقيدة (كالفاتحة والآيات الصفاتية) هو من باب "تكثير المعاني بقلة الألفاظ"، حيث تتضاعف الدلالة لتشمل الحصر والتحقيق معاً.

ج **تجلي الإعجاز في القراءات** : التغاير في القراءات (مثل إثبات ضمير الفصل أو حذفه) يكشف عن وجوه هذا التآزر؛ فالقراءة التي تثبت الضمير تجمع بين "التخصيص" و"التوكيد"، بينما تركز الأخرى على أصل النسبة، مما يثري المعنى الكلي .وكلاهما يشكلان هوية الخطاب الإلهي الذي يجمع بين الدقة المتناهية والقوة التأثيرية.

[3] الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح:محمود شاكر. مكتبة المدني–القاهرة.ط5 سنة 2004م. ص215.

المطلب الرابع : العلاقة بين البنية الإسنادية والتوكيدية في توجيه الدلالة

تُعد العلاقة بين الإسناد —بوصفه ركيزة الجملة— وبين التوكيد —بوصفه عنصراً بيانياً لتمكين الحكم— علاقة تلازمية في النظم القرآني؛ حيث يعمل التوكيد على تقوية الرابطة الإسنادية لدفع الشك أو الإنكار. وتتجلى براعة القراءات القرآنية في كونها تعيد تشكيل وجه الإسناد أو تزيد في جرعة التوكيد لتوليد دلالات استنباطية جديدة من ذات اللفظ، مما يمنح النص مرونة دلالية قادرة على استيعاب المقاصد الشرعية واللغوية المختلفة في آنٍ واحد.

I. البنية الإسنادية وأثرها في تحديد طرفي الحكم الدلالي

يعتمد الإسناد في حقيقته النحوية على ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد معنى تاماً، وهو أصل الإفادة الذي لا تستقيم الجملة بدونه. وبالنظر في آيات الذكر الحكيم، نجد أن اختلاف القراءات في بنية الكلمة (كالانتقال من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول) يؤدي بالضرورة إلى تغيير أطراف الإسناد (المسند والمسند إليه). هذا التحول ليس مجرد تغيير شكلي، بل هو تغيير معنوي يحدد "مركز الثقل" في الحكم.

التحليل التطبيقي:

نستشهد بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [1]

1. قراءة الجمهور (بضم التاء وفتح الهمزة – تُسْأَلُ) : الفعل هنا مبني لما لم يسمَّ فاعله، والمسند إليه (نائب الفاعل) ضمير مستتر يعود على النبي □ , الإسناد هنا "خبري نفيي"؛ أي أن الله ينفي عن نبيه مسؤولية كفرهم بعد أن بلغ البلاغ المبين.

[1] سورة البقرة-الآية 119

2. قراءة **نافع** (بفتح التاء وجزم اللام – تَسْأَلْ) : الفعل هنا بصيغة "النهي". تحول الإسناد من سياق الإخبار بانتفاء المسؤولية إلى سياق "الإنشاء الطلبي" الذي يقتضي الكف عن السؤال.

إن هذا التحول الإسنادي يخدم الغرض التوكيدي في الآية؛ فبينما نفت القراءة الأولى المسؤولية الجنائية والأخلاقية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، جاءت القراءة الثانية لتعزز هذا المعنى بأسلوب أبلغ، وهو نهيه عن مجرد السؤال عنهم تعظيماً لهول ما هم فيه، وكأن الإسناد في القراءة الثانية جاء مؤكداً لمضمون الأولى بأسلوب إنشائي بليغ [1]

البنية التوكيدية ودورها في تثبيت الرابطة الإسنادية

التوكيد في النص القرآني ليس فضلة، بل هو استجابة دقيقة لحال المخاطب ومقتضى الظاهر؛ فبناء الجملة يقوى ويشتد تَبَعاً لدرجة إنكار السامع أو أهمية المحتوى الإسنادي. وتتجلى العلاقة هنا في أن التوكيد يعمل ك "سياج" يحمي الخبر المسند من التأويل.

التحليل التطبيقي :

نأخذ قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾[2]. في هذه البنية، نلحظ ظاهرة لغوية دقيقة؛ حيث خلا فعل "تفتأ" من أداة النافي (لا) ظاهراً، ومع ذلك بقي المعنى "لا تفتأ". وهنا نلحظ تدخل "البنية التوكيدية" المتمثلة في القسم (تالله) لتعويض هذا الحذف الظاهري وتثبيت الإسناد.

يذهب النحاة، وعلى رأسهم **سيبويه**، إلى أن حذف حرف النفي هنا لا يضعف الإسناد بل يزيده قوة؛ لأن القسم في صدر الجملة لا يدخل إلا على جملة مؤكدة ومستمرة، فكأن قوة التوكيد بالقسم جعلت السامع في غنى عن سماع أداة النفي "لا"، مما جعل الإسناد

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص182؛ وأيضا : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص91.

[2] سورة يوسف–الآية 85

(الاستمرار في الذكر) حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل. وهذا من باب الإيجاز التوكيدي الذي يجمع بين قوة الحجة واختصار اللفظ .[1]

التفاعل بين الإسناد والتوكيد في توجيه الدلالة (دراسة تحليلية للقراءات)

في هذا الجانب ، نتقصى كيف يعمل "التوكيد" و"الإسناد" معاً من خلال القراءات المتواترة لتأكيد المعنى وتقريره، حيث نجد في الآية الواحدة توجيهات متعددة تتآزر فيما بينها

المثال التطبيقي :

قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَأَنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

توجيه القراءات وعلاقته بالبنية :

- قرأ أئمة الحرميين **وأبو عمرو** (بفتح الهمزة – وَأَنَّ) : الواو هنا عاطفة، و(أنّ) المؤكدة وما بعدها في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره "اعلموا"، أو معطوفة على "ما" في قوله "بما تعملون عليم". الإسناد هنا يربط "وحدة الأمة" بمصدر العلم والأمر الإلهي، والتوكيد بـ (أنّ) جاء لرفع أي توهم بالتفرق.
- قراءة ابن عامر والكسائي (بكسر الهمزة – وَإِنَّ) : فالبنية التوكيدية جاءت بالكسر لإفادة "الاستئناف"، وهو من أقوى أوجه التوكيد؛ لأن الجملة استقلت بنفسها كحقيقة مطلقة ثابتة.

التوجيه الدلالي

يوضح هذا التباين الإسنادي عمق الدلالة؛ ففي قراءة "الفتح" يكون الإسناد متصلاً بسياق التكليف والأمر (أي: واعلموا أن هذه أمتكم)، مما يجعل الوحدة واجباً شرعياً مرتبطاً بالعمل. أما في قراءة "الكسر"، فينتقل التوكيد إلى مرتبة "الخبر الحق" المستقل، مما

[1] ينظر: السامرائي، معاني النحو،دار الفكر–المملكة الأردنية ط2 سنة 2003م ج3، ص115.

[2] سورة المؤمنون–الآية 52

يعني أن وحدة الأمة حقيقة وجودية وقدرية ثابتة. هذا التفاعل بين "عطف النسق" و"الاستئناف التوكيدي" يمنح النص إحاطة دلالية شاملة تجمع بين الوصف والأمر .[1]

إن فحص العلاقة بين البنية الإسنادية والتوكيدية في القراءات القرآنية يثبت أن النص لا يكرر المعنى، بل يُثبّته بأوجه متعددة؛ فكل إعراب هو في الحقيقة توجيه دلالي جديد، وكل أداة توكيد هي ضامن لاستقرار الإسناد في ذهن السامع، وهو ما يبرهن على أن القراءات ليست اختلافات بل تجليات لمعانٍ إسنادية وتوكيدية متضافرة تخدم المقصد الكلي للنص.

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج18، ص36؛ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص329.

المبحث الثالث: أثر القراءات في التباين البنيوي والدلالي ونتيجته في فهم الأحكام الشرعية

المطلب الأول: أثر البنية الإسنادية في نسب الفعل وعلاقته بالأحكام التكليفية

الإسناد في الدرس النحوي هو ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد معنى تاماً، وهو في الدرس الأصولي "مناط التكليف". إن اختلاف القراءات بين البناء للمعلوم (الذي يركز على الفاعل كجهة إصدار للقرار) وبين البناء للمجهول (الذي يركز على الحدث أو المفعول كجهة استقبال للأثر) يغير كلياً من تحديد "المكلف" المسؤول عن الفعل الشرعي.

- **التباين الإسنادي في أحكام الولاية في النكاح.**

✍ **توجيه القراءات** : في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[1] ، قرأ الجمهور بضم التاء (تُنكِحُوا) من الفعل الرباعي "أنكح"، بينما قرأ الأعمش والحسن بفتحها (تَنكِحُوا) من الفعل الثلاثي "نكح" .[2]

التحليل النحوي والأصولي

قراءة الضم تجعل الفعل متعدياً لمفعولين، والفاعل المستتر (المسند إليه) هم "الأولياء". أما قراءة الفتح، فالفعل لازم أو متعدٍ لمفعول واحد، والفاعل هم "الرجال المؤمنون". القاعدة الأصولية هنا هي "إعمال اللفظ في حقيقته الإسنادية"؛ فمن أُسند إليه النهي هو المنهي عن الفعل.[3]

الأثر والتوجيه الفقهي

قراءة الضم هي الحجة الكبرى للمالكية والشافعية والحنابلة في اشتراط "الولي"؛ إذ لولا ولاية الرجل على المرأة لما وُجه الخطاب إليه بمنع تزويجها. يقول ابن العربي: "إنما خوطب

---

[1] سورة البقرة– الآية221

[2] ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص227.

[3] الفراء. معاني القرآن تح: محمد علي النجار وآخرون دار الكتب المصرية .القاهرة– ط1 سنة 1988م, ج1,ص141

بالنكـاح مَـن يملكـه، وهـو الـولي". أمـا الحنفيـة، فـرغم إقـرارهم بوجـوب الـولي في حـال عـدم الكفـاءة، إلا أنهـم استأنسـوا بقـراءة الفـتح في مواضـع أخـرى لتقريـر أهليـة المـرأة البالغـة في تـزويج نفسـها، ممـا يـبرز كيـف أن حركـة إسـنادية واحـدة (الضـمة والفتحـة) كانـت أصـلاً لخـلاف مذهبي دام قروناً [1].

- **إسناد الفعل وأثره في حماية منظومة التوثيق والشهادة.**

✍ **توجيـه القـراءات** : في قولـه تعـالى: ﴿وَلَا يُضَـارَّ كَاتِـبٌ وَلَا شَـهِيدٌ﴾[2]قـرأ الجمهـور بفـتح الراء (يُضارَّ)، وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس بضمها (يُضارُّ) .[3]

التحليل النحوي والأصولي:

قـراءة الفـتح تبـني الفعـل للمجهـول، فيكـون "كاتـب وشـهيد" نـائبي فاعـل (في الأصـل مفعـول بهمـا)، والنهـي موجـه لصـاحب الحـق. أمـا قـراءة الضـم، فتبـني الفعـل للمعلـوم، ويكونـان هما "الفاعلين"، والنهي موجه لهما.[4]

الأثر والتوجيه الفقهي

أثمـر هـذا التبـاين "قاعـدة مزدوجـة" في فقـه المعـاملات؛ فقـراءة الفـتح تُحـرم علـى الـدائن إلحـاق الضـرر بالشـهود (مثـل السـفر البعيـد أو تعطـيلهم عـن كسـبهم)، وقـراءة الضـم تُحـرم علـى الشـهود الإضـرار بصـاحب الحـق (بالامتنـاع عـن الشـهادة أو التحريـف). قـال السـمين الحلـبي: "اجتماع القراءتين جعل الآية محيطة بجوانب الضرر كلها، لضمان استقرارالعقود" .[5]

---

[1] ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، ج1، ص402؛ وأيضا :القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص72. بتصرف

[2] سورة البقرة–الآية 282

[3] ينظر: مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص320.

[4] ابن العربي, أحكام القرآن. تح: محمد عبدالقادر عطا, دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان , ط3 /2003م ج1 ص210

[5] ينظر: الحلبي، الدر المصون، ج2، ص650؛ وأيضا :ابن كثير، التفسير، ج1، ص722 بتصرف

المطلب الثاني: أثر بنية العطف على استقلالية الأمر الشرعي وتجزئة الأحكام

إنَّ العطف يقتضي التشريك في الحكم والمغايرة في الأعيان. وتعمل القراءات عبر تغيير حركات المعطوفات على "فض الاشتباك" بين الأحكام؛ فإما أن تجعل المعطوف تابعاً لما قبله في شروطه، أو مستقلاً بنفسه حكماً وأثراً، وهو ما يسميه النحاة "عطف الجمل" مقابل "عطف المفردات".

- **التباين البنيوي في العطف وأثره في طهارة الحدث.**

✍ **توجيه القراءات:** في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [1]، قرأ **نافع وأبو عمرو وابن كثير** بالتخفيف (يَطْهُرْنَ)، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد (يَطَّهَّرْنَ).[2]

التحليل النحوي والأصولي

التخفيف يدل على انقطاع الدم (فعل لا إرادي)، والتشديد (يتفعلن) يدل على المبالغة والاغتسال (فعل كسبي). القاعدة الأصولية: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى".[3]

الأثر والتوجيه الفقهي

هذا هو أصل الخلاف في "وطء الحائض بعد الانقطاع وقبل الغسل"؛ فذهب الحنفية (بالتخفيف) إلى جوازه إذا انقطع الدم لأكثر مدة الحيض، لأن الاسم (يَطهرن) تحقق بمجرد النقاء. وذهب الجمهور (بالتشديد) إلى الحرمة حتى تغتسل, لأن بنية "التفعل" تقتضي طهارة إرادية.قال ابن جزي: "التشديد أحوط للغة التي تفرق بين طهر البدن وطهر الفعل" [4]

[1] سورة البقرة-الآية 222

[2] ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص181.

[3] ابن مجاهد,السبعة في القراءات, ص181.

[4] السرخسي , المبسوط,تح محمد بن أحمد . دار المعرفة- بيروت-1993, ج1 ص215

بنية العطف وأثرها في أحكام الهدي وكفارة الصيد.

✍ **توجيه القراءات:** في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ [1] قرأ **نافع وابن عامر** بالتنوين والرفع (كفارةٌ طعامُ)، وقرأ الباقون بالإضافة (كفارةُ طعامِ).[2]

التحليل النحوي والأصولي

الإضافة هنا تجعل " الطعام " تفسيرا وملازما للكفارة بينما التنوين يجعل " الطعام " بدلا من " كفارة ".[3]

الأثر والتوجيه الفقهي

أدى هذا التباين إلى اختلاف في "هوية الواجب"؛ فهل الطعام هو "عين الكفارة" فلا يجزئ غيره؟ أم هو "بدل" عنها في مقام التخيير؟ أخذ الفقهاء من الإضافة لزوم نوعية الطعام، ومن التنوين سعة التخيير بين الإطعام والصيام. وهذا يوضح كيف أن بنية "الإضافة" حددت طبيعة الحكم المالي في الجنايات.[4]

المطلب الثالث: أثر بنية العموم والخصوص على شمولية الحكم أو تخصيصه

تُبنى عمومية الأحكام أو خصوصها على البنية الصرفية للفظ (جمعاً أو إفراداً). وتلعب القراءات دوراً محورياً في تحويل اللفظ من "اسم جنس" قد يحتمل التخصيص، إلى "صيغة جمع" هي نص في العموم والاستغراق.

[1] سورة المائدة–الآية 95

[2] السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص410

[3] ابن زنجلة .حجة القراءات ,ص125 .

[4] ينظر: مكي القيسي، الكشف، ج1، ص420؛ الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص85..

- **بنية العدد (الجمع) وأثرها في استيعاب حقوق العباد.**

✍ **توجيه القراءات:** في قوله تعالى: ﴿أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[1] قرأ الجمهور بالجمع (الأَمَانَاتِ)، وقرأ ابن محيصن بالإفراد (الأَمَانَةَ).[2]

التحليل النحوي والأصولي

الجمع المضاف يفيد "العموم الاستغراقي" لكل جزئيات الأمانة. أما الإفراد فهو "اسم جنس" قد ينصرف للعهد (أمانة مخصوصة).[3]

الأثر والتوجيه الفقهي

استدل الفقهاء بقراءة الجمع على وجوب رد كل ما يصدق عليه اسم أمانة، سواء كانت حقاً لله (كالفرائض) أو حقاً للعباد (كالودائع، والشهادات، والمشاورة). وقراءة الجمع سدت باب التخصيص، فأوجبت الرد حتى لمن خانك. قال الشوكاني: "اللفظ بالجمع أقطع للنزاع في شمولية الحكم لكل فرد" .[4]

- **بنية الإفراد والجمع في فدية الصيام وأثرها في التقدير**

توجيه القراءات: في قوله تعالى: {فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} [سورة البقرة–الآية 184]، قرأ **نافع وابن ذكوان** بالجمع والإضافة (طَعَامُ مَسَاكِينَ)، وقرأ الباقون بالإفراد (طَعَامُ مِسْكِينٍ) .[5]

---

[1] سورة النساء–الآية 58]،

[2] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص280

[3] الرازي : المحصول في علم أصول الفقه. تح : طه جابر العلواني .الرسالة –بيروت– ط3–1997م, ج2ص220"القاعدة الأصولية في جمع العموم"

[4] الشوكاني , فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية, دار ابن كثير–دمشق/بيروت, ط1 .1414هـ.ج1ص480.

[5] ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص125

التحليل النحوي والأصولي

الإفراد يحدد "القدر الأدنى" للواجب عن كل يوم، بينما الجمع يحدد "المصرف" الكلي للفدية.[1]

الأثر والتوجيه الفقهي

قراءة الإفراد هي التي بنى عليها الفقهاء (كالشافعية) تقدير الفدية بـ "مُد" لكل يوم لمسكين واحد. وقراءة الجمع استُدل بها عند المالكية والحنفية على جواز دفع فدية أيام كثيرة لمسكين واحد أو توزيعها على جماعة، لأن الجمع يعطي سعة في "المحل" الذي يقع عليه الإطعام .[2]

المطلب الرابع: أثر بنية التخصيص والتوكيد في تحقيق الأحكام الفقهية

التوكيد في البنية النحوية يرفع "توهم المجاز" **ويقرر الحكم في ذهن المكلف. وتبرز القراءات عبر بنى "القصر" أو "التقديم" أو "نون التوكيد" لتنقل الحكم من دائرة "الظن الفقهي" إلى "القطع التشريعي".**

- **التوكيد بالقصر وأثره في حصر أعيان المحرمات**

توجيه القراءات: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾[3] بنية الحصر بـ (إِنَّمَا) أداة متفق عليها بنيوياً.

التحليل النحوي والأصولي

دلالة "إنما" عند جمهور الأصوليين هي الحصر (إثبات المذكور ونفي ما عداه).[4]

---

[1] الرازي : المحصول في علم أصول الفقه. ج1 – ص185

[2] ينظر: مكي القيسي، الكشف، ج1، ص275؛ القرطبي، ج2، ص290

[3] سورة البقرة–الآية 173

[4] الجرجاني :دلائل الإعجازص264.(دلالة إنما على القصر والحصر).

الأثر والتوجيه الفقهي

هذا الحصر هو "الدليل القطعي" الذي اعتمده الفقهاء في حصر المحرمات من الأعيان. فقهياً: استند الشافعية إلى هذا الحصر للقول بأن الأصل في الأطعمة الطهارة، وما ورد خارج الأربعة (الميتة، الدم، لحم الخنزير، ما أهل لغير الله) يحتاج لدليل خاص للتحريم. بينما اعتبره غيرهم حصراً إضافياً لمواجهة ما كان يفعله الجاهليون. قال الرازي: "البنية هنا سيقت لقطع الطمع في تحريم غير ما ذُكر إلا بدليل مساوٍ" [1]

- **بنية التوكيد بالنون واللام وأثرها في وجوب البلاغ.**

✍ **توجيه القراءات:** في قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[2]قرأ **ابن كثير وأبو عمرو** بياء الغيبة (لَيُبَيِّنُنَّهُ)، وقرأ الباقون بتاء الخطاب (لَتُبَيِّنُنَّهُ)، وكلاهما مؤكد باللام والنون .[3]

التحليل النحوي والأصولي

دخول لام القسم ونون التوكيد الثقيلة ينقل الفعل من "الخبر المحض" إلى "الوجوب القاطع".[4]

الأثر والتوجيه الفقهي

قراءة الخطاب جعلت الحكم "عاماً" في كل علماء الأمة ومكلفيها بوجوب البيان وحرمة الكتمان. وقراءة الغيبة خصت أهل الكتاب بالميثاق الأول. أخذ الفقهاء من بنية التوكيد هذه "حكم وجوب تبليغ العلم الشرعي" وجعلوا كتمانه كبيرة من الكبائر.

[1] الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص120.

[2] سورة آل عمران–الآية 187

[3] ينظر: ابن الجزري، النشر، ج2، ص240.

[4] القرطبي , الجامع لأحكام القرآن .ص222

فالكتمان هنا منهي عنه نهياً مؤكداً بلام القسم، مما يرفع الحكم من الندب إلى الوجوب العيني .[1]

ومن الأقوال السابقة بالجملة يمكننا استخلاص ما يلي :

- القراءة منشأة للدلالة الفقهية: أثبت البحث أن التباين البنيوي (حركات، إسناد، عطف) ليس ترفاً لغوياً، بل هو "المادة الخام" التي يُصاغ منها الحكم الشرعي.
- التكامل الوظيفي بين العلوم: لا استنباط فقهي بلا ضبط نحوي؛ فالمجتهد يحتاج لضبط "البنية الإسنادية" ليعرف مَن المخاطب، وضبط "بنية العطف" ليعرف حدود الامتثال.

[1] الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص415.

الخاتمة

بعد أن طوّفنا في رحاب هذا البحث بين مستويات اللغة العربية، واستنطقنا آيات الكتاب المسطور من منظور القراءات والنحو، نصل الآن إلى مرافئ الختام. إن استجلاء الأسرار الكامنة في التعدد القرائي لم يكن غاية في ذاته، بل وسيلةً لبيان كمال النظم القرآني واتساع دلالاته. وما هذا الجهد المبذول إلا محاولةٌ لربط الأصول بالفروع، وبيان كيف يتناغم الحرف والكلمة مع القاعدة لكم، لتتشكل في النهاية لوحةٌ إعجازية تعجز عن محاكاتها لغات البشر، وتكشف عن عبقرية اللسان العربي في أرقى تجلياته.ولقد خلصت الجهود العلمية المبذولة في هذا المسار إلى رؤية تتسم بالوسطية والاعتدال؛ حيث لم يكن المقصد هو الانتصار لمدرسة نحوية بعينها، بل كان التركيز على استيعاب الوجوه التي أقرها النقل الصحيح حيث إن هذا التوجه الأكاديمي يرى في كل قراءة وجهاً حقاً من وجوه اللغة، وفي كل توجيه نحوي محاولة بشرية جادة لفهم الفيض الإلهي، مما يجعل من التعدد القرائي اختلاف "تنوع وإعجاز" لا اختلاف "تضاد وتناقض". ولقد تمخضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج الجوهرية التي تعكس طبيعة المباحث المنجزة، نوجزها كما يلي:

- **أولوية السماع على القياس:**

أثبت البحث أن القراءات القرآنية المتواترة هي المرجعية الأولى للتقعيد؛ فكل ما ثبت قراءةً وجب قبوله نحواً، مما يثبت أن القراءة "سنة متبعة" لا مجال فيها للرأي أو التخطئة النحوية، وهي التي تمنح القاعدة مشروعيتها اللسانية.

- **أثر التحول في "البنية الوظيفية":**

تبيّن من خلال دراسة نماذج مثل قوله تعالى (عسَيتم/عسِيتم) أن التحول في الحركات الإعرابية أو البنى الصوتية (ككسر السين أو فتحها) ليس ترفاً لفظياً، بل هو استثمار للغات العرب الفصيحة لإعطاء أبعاد دلالية تليق بسياق الخطاب القرآني.

- **التوجيه الصرفي وإثراء المعنى:**

كشف البحث في مباحث "البنية الصرفية" (مثل: يطهرن/يطَّهرن) أن زيادة المبنى تؤدي لزيادة المعنى؛ فالقراءة بالتشديد منحت بُعداً دلالياً إضافياً يتعلق بالمبالغة والاجتهاد في الفعل، مما يثبت أن اختلاف القراءات يقوم مقام تعدد الآيات.

- **النحو جسراً للاستنباط الفقهي:**

خلصت الدراسة إلى أن التوجيه النحوي للقراءة هو المحرك الأساسي للفقه؛ فالتحول من "العطف" إلى "الاستئناف" أو من "الصفة" إلى "الحال" كان هو المستند الذي بنى عليه الفقهاء أحكامهم في قضايا الطهارة، والبيان، وحقوق الميثاق، مما يثبت أن النحو خادمٌ للشريعة ومفتاحٌ لفهمها.

- **التوكيد والوجوب القاطع:**

من خلال تحليل قوله تعالى (لَتُبَيِّنُنَّهُ/لَيُبَيِّنُنَّهُ)، ظهر أن دخول لام القسم ونون التوكيد الثقيلة يحول الفعل من الإخبار إلى الوجوب القاطع، مما يبرز دور القراءة في تحديد الفئات المخاطبة بالحكم (بين العموم والخصوص).

- **الانسجام رغم التعدد:**

أكدت النتائج أن التعدد الإعرابي داخل الآية الواحدة لا يؤدي أبداً إلى تضاد دلالي، بل يؤدي إلى "تكامل تداولي"؛ حيث تضيء كل قراءة جانباً من جوانب المعنى يغيب عن القراءة الأخرى، مما يبرهن على سمو النظم القرآني وتفرده.

- **مرونة اللسان العربي:**

أظهرت الدراسة أن القراءات كشفت عن مرونة اللغة العربية وقدرتها على استيعاب التحولات البنيوية المعقدة مع الحفاظ على وحدة الموضوع وإعجاز النص.

- **دحض الشبهات وتقوية الحجة:** ساهم البحث في تقوية الحجة أمام المشككين في مشروعية القراءات؛ إذ تبيّن أن كل وجه قرائي يستند إلى أصل متجذر في لسان العرب، مما يرد كيد الطاعنين.

- **جلاء اللبس بالنحو:** البحث عن دور النحو كونه المجهر الذي كشف عن مواضع اللبس المحتملة، ففسّر العلل ووجّه الإعراب بدقة.
- **أصالة القراءة في التقعيد:** ثبت يقيناً أن القراءات القرآنية هي "الأصل الحاكم" وليست "الفرع التابع"؛ فهي المصدر الذي استمد منه النحاة مادتهم.
- **النحو مفتاحٌ للاستنباط:** تبيّن أن التوجيه النحوي للقراءة هو المحرك الأساسي للفقيه في استنباط الأحكام.
- **التكامل والانسجام الدلالي:**أكدت النتائج أن التعدد الإعرابي لا يؤدي لتعارض، بل إلى تكامل يثري النص القرآني.
- **الارتباط الوثيق بين المستويات اللسانية:** كشف العمل عن تلاحم المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية في إنتاج المعنى.
- **خلود الإعجاز القرآني:** أثبتت الدراسة أن القراءات هي مظهر متجدد من مظاهر الإعجاز اللساني الصالح لكل عصر وزمان.

وبالتالي يمكن الإجمال أن القراءات القرآنية ليست وجها صوتيا فحسب بل تمثل تنوعا لغويا أثّر في بناء القواعد النحوية وترجيحها وهذا ما جعل النحاة يعتمدون على القراءات القرآنية كتوجيه واستشهاد وأنها تعد عاملا في توسيع القاعدة النحوية أو تصحيحها لأن الاختلافات تكشف وجوها متعددة للمعنى القرآني دون تعارض ويثري الدلالة ,كما أن التحليل النحوي لا يكتمل دون مراعاة القراءات وهو الأمر الذي يجعل توجيه الإعراب مرتبطا بالقراءة المعتمدة, وتبرز أهمية المنهج التطبيقي في إبراز القيمة النحوية للقراءات بعيدا عن الطرح النظري المجرد ,كما أنّ توافق القراءات ظاهر مع الأصول النحوية وأن ما يبدو شاذا منها يخضع لتبرير لغوي معتبر عند النحاة.

ومن خلال غوصي في تفاصيل هذا الموضوع، استشعرتُ وجود مساحات معرفية بكر لا تزال تنادي الباحثين والدارسين، لذا فإنني أفتح أفق البحث المستقبلي من خلال طرح الإشكالية الآتية :

هل نقرأ القرآن الكريم من خلال القواعد النحوية المصنوعة أم نبني القواعد النحوية من خلال القرآن الكريم باعتباره وحيا يمثل أعلى مراتب الفصاحة ؟

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش

المصادر

الكتب

1 .ابن الفاصح البغدادي، سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، تح: عبد القادر شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

2 .الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر الكبيسي والجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، السعودية، ط1، 1993.

3 .محمد الشافعي، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4 ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، لجنة البيان، القاهرة، مصر، ط2، 1952، ص 77.

5 ابن أبي شامة المقدسي ، " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز " تح/ ابراهيم شمس الدين، الناشر : دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1 سنة 2003م.

6 ابن الجزري , كتاب " منجد المقرئين ومرشد الطالبين " , تح : ناصر محمدي جاد ,ط1 سنة 2010, دار الآفاق العربية .

7 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994 .

8 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994

9 ابن الحاجب , " الكافية في النحو " تح: صالح عبدالعظيم.مكتبة الآداب.ط1.سنة1986.

10 ابن جني , الخصائص, تح : محمد علي النجار, الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ., الطبعة الأولى .2006م .

11 ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م).

12 ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، وزارة الأوقاف المصرية، ج1، ص 10 (مقدمة المحقق عن بواكر الاحتجاج).

13 ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تح: علي محمد وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م).

ابن منظور" لسان العرب.الناشر : دار المعارف : بيروت، ط1، 1997.

14 أبو شامة، المرشد الوجيز، ص١٨١، وعبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب

15 أبو علي الفارسي , " الحجة في علل القراءات السبع ".تح: عادل أحمد عبد الموجودوعلي محمد معوض, الناشر :دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.ط1 سنة 2007م .

16 أبوبكر ابن مجاهد البغدادي التميمي , كتاب " السبعة في القراءات " ,ط2, الناشر :دار المعارف– مصر : , سنة 1400 هـ.

17 أحمد خالد شكري , ومحمد أحمد مفلح القضاة , " مقدمات في علم القراءات " , ط1 , سنة 2001م , دار عمار/عمان

18 أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات ويليه متن الدرة المضية في القراءات الثلاثة المتممة للعشرة لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

19البخاري , صحيح البخاري,تح:محمد زهير بن ناصر.دار طوق النجاة.

20 البربري، صلاح موسى، موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم، مجلة الأزهر، ج4، السنة 68، سبتمبر 1995م.

21بن الجزري, التمهيد في علم التجويد.تح: غانم قدوري.مؤسسة الرسالة .د ت.

22 البيهقي السنن الكبرى، دار المعارف، بيروت ، لبنان، ط2،1927 .

23 حازم سعيد حيدر. علوم القرآن بين البرهان و الإتقان – دراسة مقارنة –دار الزمان، المملكة العربية السعودية،2009 .

24 الدمياطيّ الشهير بالبنا , إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر.. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ .ط3, 2006م .

25الزركشي." البرهان في علوم القرآن للزركشي " تح/ أبي الفضل الدمياطي. د ت .

26السيوطي, الإتقان في علوم القرآن..تح: محمد أبو الفضل ابراهيم/بيروت :دار الفكر.ط1، سنة 1996.

27 السيوطي: الاقتراح في أصول النحو وجدله.حققه وشرحه: محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) الناشر: دار القلم، دمشق .ط1 سنة 1987م.

28 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

29 شعبان محمد إسماعيل، القراءات، أحكامها ومصادرها.

30 شمس الدين المعروف الذهبي ,كتاب " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ", سنة 1998, الناشر : دار الكتب العلمية , ط1.

31 صبري عبد الرؤوف، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997،د ط

32 عبد الصبور شاهين .تاريخ القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1987.

33 عبد الفتاح القاضي , " الإيضاح على متن الدرة المتممة للقراءات العشرة للإمام ابن الجزري " , الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث –القاهرة- , د ط , تاريخ الإصدار :01 يناير 2006.

34 عبد الله بن عبد المؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، 2002.

35 عبد الهادي الفضلي , كتاب " القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف". ط1.الناشر:دار القلم.سنة 1980م .

36 الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، (القاهرة: دار السرور، د.ت).

37 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

38 القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.

39 الكتاب، سيبويه، علق عليه بديع إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1999.

40 محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

41محمد سالم محيسن , " القراءات وأثرها في علوم العربية ". الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ,ط1. دت.

42 محمد علي شمس الدين الدمشقي , " غاية النهاية في طبقات القراء" , تح: ج: برجستراسر .الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ,ط1 ,2006م .

43المكي بن أبي طالب." الإبانة عن معاني القراءات " تح: عبد الفتاح اسماعيل.الناشر :دار نهضة مصر للطباعة.دت.

44 مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: عبد الرحيم الطرهوني (القاهرة: دار الحديث، 1428هـ - 2007م

45 مناف مهدي الموسوي، القراءات القرآنية- دراسة صوتية في الأداء -كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة.

46المعاجم

1ابن منظور" لسان العرب.الناشر : دار المعارف : بيروت، ط1، 1997.

الـفهـرس

شكر وعرفان
إهداء
مقدمة .... أ

الفصل الأول : القراءات القرآنية وعلاقتها بالقاعدة النحوية

المبحث الأول: مفهوم القراءات القرآنية 06
مفهوم ونشأة القراءات القرآنية 08
أنواع القراءات ومقاييسها 13
القراءات الشاذة وأنواعها 16
علاقة القراءات باللهجات العربية 21
التفاعل المستوياتي في الخطاب القرآني 25
صور اختلاف القراءات القرآنية 26
المبحث الثاني: القراءات القرآنية والتقعيد النحوي 36
موقف أبي الأسود الدؤلي من القراءات في الاحتجاج 36
موقف سيبويه من القراءات في الاحتجاج 38
موقف المدرسة الكوفية والبصرية من القراءات في الاحتجاج 41
المبحث الثالث: اختلاف القراءات والتوجيه النحوي..... 50
مفهوم التوجيه النحوي..... 50
بدايات علم التوجيه ونشأته 51
أقسام علم توجيه القراءات 53
أركان التوجيه النحوي للقراءات القرآنية 59
اختلاف القراءات وتحقيق المعنى..... 63
الاختلافات الإعرابية في الأسماء والأفعال..... 64

الفصل الثاني أثر القراءات القرآنية في إعادة تشكيل البنية النحوية وأبعادها الدلالية– دراسة تطبيقية–

مدخل منهجي 73
المبحث الأول : أثر القراءات في إعادة تشكيل البنية النحوية في النص القرآني. 77
اختلاف البنية الفاعلية والمفعولية 77

اختلاف البنية التتابعية (العطف) 86
اختلاف الحركة الإعرابية (الرفع والنصب) 93
اختلاف البنية الإسنادية والتركيبية للتوكيد 97
المبحث الثاني : أثر القراءات في الاختلاف الدلالي للبنية النحوية المتباينة... 100
أثر البنية الإسنادية في دلالة الفعل والفاعل. 101
أثر البنية العطفية في تخصيص الحكم وتعميمه..... 106
أثر بنية التخصيص والتوكيد في تجليات الدلالة. 110
العلاقة بين البنية الإسنادية والتوكيدية في توجيه الدلالة..... 115
المبحث الثالث :أثر القراءات في التباين النحوي والدلالي ونتيجته في فهم الأحكام الشرعية 118
أثر البنية الإسنادية في نسب الفعل..... 118
أثر بنية العطف على استقلالية الأمر الشرعي..... 119
أثر بنية العموم والخصوص على شمولية الحكم أو تخصيصه..... 121
أثر بنية التخصيص والتوكيد في تحقيق الأحكام الفقهية 123
خاتمة 168
قائمة المصادر والمراجع..... 172
الفهرس 139
ملخص البحث 142

ملخص البحث

تُعدُّ القراءات القرآنية المُوجِّه الأساس لبناء القاعدة النحوية والرافد الأسمى الذي استمد منه النحو العربي شرعيته وجودته، فالنص القرآني هو الحاكم على القوانين اللغوية وليس محكوماً بها. وقد أثبتت الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي صحة الاحتجاج بكافة القراءات — متواترها وشاذّها — واعتبارها حُجّة لغوية ة؛ لكونها منقولة بالتواتر والاستفاضة النقلية الموثوقة عن الفصحاء، مما ينفي عنها مَظنّة الوهم أو الشذوذ المعياري. كما كشف الجانب التطبيقي أن تعدد الوجوه القرائية كان عاملاً حيوياً في اتساع القاعدة النحوية وتوجيه الظواهر الإعرابية واستيعاب مرونة السياق وسعته. وبناءً عليه، فإن مذهب بعض النحاة في ردّ بعض القراءات أو تخطئتها قياساً على قواعدهم هو مسلك مرجوح، إذ الأصل تطويع القاعدة للنقل الثابت لا العكس. وتخلص الخاتمة إلى ضرورة إعادة قراءة التراث اللغوي في ضوء المرجعية القرائية، وجعل التواتر المقياس الأوحد والأعلى للحكم على الأقيسة النحوية.

ENGLISH ABSTRACT

Quranic recitations constitute the primary guide for establishing grammatical rules and the supreme source from which Arabic grammar derives its legitimacy; the Quranic text governs linguistic laws rather than being governed by them. This study, through both its theoretical and practical dimensions, asserts the validity of citing all Quranic recitations—both Mutawatir (frequent) and Shadh (anomalous)—as an absolute linguistic authority, given their transmission through reliable, consecutive chains (Tawatur) that negate any presumption of error or normative irregularity. Moreover, the practical analysis reveals that the diversity of recitations was a vital factor in expanding grammatical rules, guiding syntactic phenomena, and accommodating contextual flexibility. Consequently, the approach of certain grammarians to reject or invalidate specific recitations based on preconceived analogies is deemed a weak methodology, for the rule must bend to the authentic transmission, not vice versa. The abstract concludes by advocating for a re-evaluation of linguistic heritage through this Quranic lens, positioning consecutive transmission as the ultimate arbiter over grammatical analogy.